

فوكايدوا

رواية

«2022»



الجزء الأول

يوسف أسخيرة 

إهداء

..الى تلك الفراشة الزهرية التي أكسبت جَوِيَّ
عِطْرًا باعِثًا الى إِبْداعِ، إلى نَفْسِ الخَائنة ونفسِ
إِنْسَانِ المَخْلَصِ الذي بَدَى كَذَلِكَ...
نَحُو كَائِنِ آخِرِ .

”

مقدمة :

ماذا كنتَ تظنُّ قبلاً، عندما رأيتَ غلاف هاته الرواية، ربما كرهتني وكرهت عقلي الذي أنجبها إلى الوجود، وتكره كل من شارك في وصولها إليك حتى إشارة الهاتف الغيبية، أعدك أنك لن تكره أحداً ما عدا واحداً.....
؟ سأدعُك تتعرف على هذا النذل بنفسك من خلال الرواية.....كُنْ محترفاً في إيجاده.

ستندم لأنك ستقرأ هاته الرواية...

المهم تذكر هذا التحذير جيداً، لن يُحالفك الحظ لتندم ثانية.

**

على المرء أن يخسر، بقدر ما يكسب"»



بدت رائحة الربيع خصبة لدرجة تستولي على كل أشعور فينا، ونحن بادين للعيان مَنْقَطِينِ بِالصَّمْتِ القاتل مع روح تحاول الفرار من سجنها الأزلي، إنها لقباحة أن يشعر المرئ بالراحة بعد جهد لم يَقْضِهِ وهو يحارب اليأس والشقاء، للذان ولدى في منفاه العزيز، إننا لا نشعر بما قد وجدنا مرتاحين، لربما كل هذا مجرد تهيئات لأنفاس تثوق لراحة أبدية، أشعرتم به؟

ماهو؟، الشوق والحنين لأي لحظة تولد فيها المتعة واي متعة تولد في مخاض الحياة سوى عقاب مؤجل، بل تحلية قبل العشاء وليس بعده .دائماً تستولي علينا أمانٍ قبيحة فقط لأن الجو الذي ولدنا فيه لا يبدو ملائماً لما نريده ونرغب فيه . على المرئ أن يكف عن الأحلام الواهية ويخلد نفسه بواقعيته المجحومة على صخرة الحياة "

فكل عظيم إسترده التاريخ في مجلداته لم يبقى على حلم واحد دون أن ينفية الى العدم، ومن العدم أورده الى الوجود ..

" مهما رأيت في إنسان من إخلاص، فقد يرتد خَائِناً، فقط لأنه وجد فرصة ثانية أفضل من الأولى، إن الوفاء مقرون بعدد الفرص الموجودة"

يوسف أسخيرة



الفصلُ الأوَّلُ : اللِّقَاءُ الأوَّلُ

و

اللَّعْنَةُ الْمَسْرُوقَةُ"

الرابع من تشرين ٢ عام ٢٠٠٠

لم يجرب أحد الشعور أن يعيش المرء لوحده، وأن يموت ومعه الجميع .

ماذا لو كنت رساماً يعيش على نظرات آخرين ، يتنبأ بكل شيء قبل أوانه؟

ولد فاندوسكي الشاب ذو العشرين سنة فقيراً لا تحمله سيفانه الهزيلة ، حيث كان يقطن مع جدته السيدة نيرمين فولكمان ، والذي مات والداه في حادث سير أودى بهما بسبب حماقة أحد الشباب ذوي الدراجات الضخمة، عندما كان لفاندوسكي

العاشرة من عمره ، حتى إنتقل الى منزل جدته من أمه والتي تعيش في قرية تشوبها نزلة من الغرابة، يطلق عليها قبيلة يَلزَسْ بجزيرة سيلزبريس في عمر الحادي عشر وظل عندها الى أن وصل الى العشرينات، ومن تم بدأ كابوسه في

الحياة ،حتى أنه لا يجيد سوى كتابة على بعض الحجر ،ولم يسعه الوقت ليدرس أو أن ينال من رغبته في إيجاد سبيله في الحياة .

لكنه كان يجد متعة فاطنة في موهبته،تلك التي ولدت في الخوالي،وكان بها يلهو طوال الوقت،لقد إعتاد أن يرتاد الجبال مع صديقه دَعْسُولَ ماعزه الأليف ،و كتابه الذي به يخفي موهبته في الرسم ،كانت أغلب رسامته لماعزه دَعْسُولَ حتى أن فتیان القرية غالبا ما كانوا يسخرون من رسمته لماعزه حيث كان يرسم عيني ماعزه منفوختين ذو الجفون القافرة ،والجسد الهزيل،وفجأة يتغير الرسم لوحده ليتحول الى أطراف منثورة لماعز مذبوح حديثاً،إلا أنه كان يرسم ما تطأه الروح في الروح،حتى فاندوسكي لم يكن يعطي لرسمه كل الأهمية ،فيرسم ويترك كل رسامته جانبا ليرسم شيئا آخر،بعد عشرين يوما أتى الشتاء وجاء معه البرد،وكان المنزل في حاجة للدفئ ولا وجود للخشب لإشعال المدفئة،فطلبت الجدة نيرمين من فاندوسكي أن يخرج للحقل، ليجمع بعض الحطب،فإستاء لمقاطعتها له أثناء رسمه لنافذة المنزل،حيث المياه تتقاطرمن عليها.

ليس المهم أن نبذل أشياء الغير مألوفة لنفرح قلوب أحدهم،فقط المألوفة تكفي لتخلق البهجة في قلوبهم،فلا تنتظر من يبذل لك الحب،لأنك ستنتظر طويلاً،وإبتدع من قلبك ما يبذو لقلبك صحيحاً،فأشياء البسيطة تفرح القلوب البسيطة.

وخرج منتفخ الرئتين،منصب اليأس على أحوال الجو المثلج،وبينما هو يثلو أنفاسه الباردة في الخارج سمع صوت صياح من الإسطبل حيث يوجد ماعزه مع باقي الخيول و الأغنام ،فركض بسرعة اليه ليطمئن على حال صديقه ،فعندما فتح الباب وجده ملقاً على أرض ترتجف أعضائه المنثورة من البرد،منتفخ العينين ذو الجسد الهزيل،لقد تم ذبحه وتقطيعه بأفبح طريقة يمكن لسفاح غبي فعلها فحتى رأسه تدحرج الى أن وصل بمحادثات باب الحضيرة .
وباقى الأغنام ملتوية في بعضها،فأسرع في الجري الى جدته حاملا لها هذا الخبر المريع،فحملت غطاءها وخرجت الى الإسطبل وقد إجتمع فتیان القرية عند إسطبل يتهامسون في موت الماعز الظريف ،فقالو بنبرة مليئة بالحزن : يا جدة إن موت الماعز كان مدبراً ،بل إن صاحبه من قتله.ولربما هو من ذبحه في نوبة من الغضب العارم.

فسمع فاندوسكي صوتا يقول: إنهم يحيكون لك مزحة، فكن مستعداً لتجذ ما يبطل المزاح! لكنه لم يبالي به، إنه يظنه وهما تخطاه عقله ولزال جسده متمسكاً به.

فصاحت الجدة كيف ذلك يا أطفال؟ وفاندوسكي يحاول لَمَ أعضاء ماعزه العزيز يناجيه ليستفيق من هذا الحلم البشع.

فقال أحدهم: إن كل المتاعب تحصل عندما يرسم شيئاً، فعندما رغبنا في أن نرى رسمه العجيب طلبنا منه أن يرسم قطتي الأليفة، فأخذ يرسمها بشيء من اليأس الفضيع ذات الملامح الكئيبة القريبة الى الموت، والجاحفة والجسد المنتفخ.

وبعد أسبوع وجدناها في العلية ميتة قد مر على وفاتها يومان، وقد قال والداي أنها أكلت فأراً مسموماً.

فسيظل الإنسان يغلو مهما جرى، لدى إختصر على نفسك ثعب التبرير، فالذي لا يقتنع بالمنطق، لن يقتنع بكلامك "

فأخذت الجدة تصرف نظرهم وتقول لفاندوسكي : هيا يا بني أحضر الحطب الى إسطنبول لنشعل ناراً هنا لألا تموت باقي الخرفان ، وغدا ندفن صديقك تحت شجرة الليمون التي توجد في أرضي الشمالية .فليس هذا مظهر تجلٍ مألوف لقتل مشروع، إن هناك شيئاً يقتل الماعزَ ولربما يحين دور أغنام أيضاً... فأحكم غلق الإسطنبول بقتل لا يجذ القاتل له مفر.

فصرخ أحد الحمقى: إنَّه حفيدك فاندوسكي يا جدة ألم تريّ ملابسه الملوخة بدم ماعزه ، والسكين خلفه؟

فتطلع فاندوسكي إلى نفسه فوجد أن كل ملابسه ملوخة بالدماء وأن في يده سكيناً حاداً... لم يتذكر فاندوسكي كيف وصل السكين الى يده، فتذكر أن أحدهم قد مدَّه له ليفتح به باب الإسطنبول.

فرد فاندوسكي : إن به فتحت باب إسطنبول الذي أصبح قاسيا بالثلوج.

ولكنه أغفل أن الحمقى مهما بررت لهم الحقيقة ووضعتها بنفسها أمامهم، ليغضو أذناهم قائلين إنها وهمٌ ومحض كذبة.

والكل عاد الى منزله، يشعر بالقلق تجاه فاندوسكي، ولكن جدته كانت ذكية جداً، تعيد نسج خيط المشاكل وتلك الوقائع البشعة التي حصلت لماعزها دعسول الذي ليزال الى الآن مغطى بقماش وسط الحضيرة، فقالت لنفسها:

إنها ليست فعلٌ إنسانٌ، فتقطع أطراف كلها بنفس الميلان ونفس القوة يتطلب كائناً غير هذا، كائناً يفوق الكل في مقدرته على إفتراس وليس أي حيوان، فحتى الذئاب تعجز عن التحفي عندما تقوم بالخطيئة.

في صباح اليوم التالي، توقف المطر وخفت شدة البرد، فخرجت الجدة لتطمئن على الأغنام تاركةً فاندوسكي معتشياً في أمشسته الساخنة فإذا بها تجد كل القرية مجتمعة أمام باب منزلها، يمتنعون عن الزوال يصرخون في وجهها : لتذهب اللعنة ، وليغادر صاحب الحظ البشع القرية ، نحن لا نريد من يفسد محاصيلنا وأطفالنا برسومه، فقد يحين دور أغنامنا في القتل فنتبعهم نحن أيضاً..

فعندما يصرخ الجمع تصمت الأفواه، وعندما تصمت الأفواه تعم الحمافة."

وفي تلك اللحظة بالذات خرج فاندوسكي على إثر صراخهم ، فوقف مصدوما يحاول بكل جهد فهم ما يجري فجاءت أم صديقه واقفة بمحادثاته وهي تقول :

هذا هو قاتل قطة طفلي وقاتل الماعز البريئ ، إنه لَلْعَمَّ قَاتِلٌ بفضل رسمه البشع .إنه يجسد فنه فينا، ولا أكاد أجزم أننا لن نكون ضحاياه القادمين .

فأخذ الكل يرشقه بالبيض ، وَجَدَّثُهُ مَطْمُورَةً بين الحشد تُسَكِّتُهَا بعض النساء بترثرتهن ، فقفز عجوز من بين الحشد وهو يقول :

لقد إختفى لي خفين صبيحة إثنين، فلا بد أن هذا الوغد قد رسمهما ليلة أحد، فخرج ثلاثة رجال من بين أهل القرية يلبسون جلبابا أبيض و تمامة سوداء يمثلون قاداتها فوقفو بمحادثات الجدة تم قال أحدهم :

يا سيدة نرمين نحن نعرفك مند سنين وليس لك منا حديث ، وكل ما حدث موجه لحفيدك فاندوسكي ، فإما أن يطرد من القرية أو أن تطردا معاً ، فضحكت الجدة اللطيفة وقالت: إن ضاع عقلك يا شيخ زمانه، فهل ستأتي لتلوم حفيدي لرسمه له !

وإن جاءكم سارق من الخوالي يقنعكم بأنكم من تسرقون فما ردكم عليه يا سادة؟

وقف فاندوسكي أمامهم قائلاً والذموع تنهمر من جفونه لذلك المنظر الذي وجد نفسه فيه أمام رأس ماعزه المنزوع :

لا عليك يا جدي ، غدا سأرحل !

فليس كل ما تقوله الجماعة يكون صحيحاً،ولكن صحته المزيفة قد تكون حقيقية عندما يجتمع الحمقى،فيبدأون في نشر الفتاوي.

قففز أحد شيوخ ثلاثة فيقول:

غدا سنرى ما إذا كنت رجلاً أم مجرد مراهق أخرق !

فدخل فاندوسكي للمنزل مسرعاً نحو غرفته ملفوفاً بالإزعاج والظلم والكآبة تركب جسده ،فبدأ يجمع أمتعته وكل ملابسه ،فجاءته جدته وقالت بكل حزن :

ليس عليك أن ترحل يا عزيزي ،سينسون كل ما حصل بعد يومين أو أكثر،ولكن بمقابل ينبغي أن تكف عن الرسم ،فقبيلة كهذه تَسَحِّقُ كل موهبة لا تحني من وراءها قوت يومها .وقد تنسب أي خطيئة إليها فقط ليعيقوا استمرارها،فهل رأيت شيئاً عندما فتحت الحقيبة اول مرة؟

رد فاندوسكي بحزن: رأيتُ رأس ماعزي يتدحرج أمامي،وأنا عاجزٌ تماماً عن التفكير في الأمر.

وجدت روعي في الرسم يا عزيزتي ،فإن بَعَثْتُ بِعَثُ نَفْسِي،سأقصد الخوالي أبحث عن من يولي للرسم حاجة تُسَكِّتُ رمقَ الروح في الضمى.فسكتت الجدة قليلاً تم عانقت حفيدها،فلماذا تسألين يا جدي؟هل أنتِ أيضاً تظنيني من قتل صديقي دعسول؟

ردت نيرمين قولكمان: أبدأً يا عزيزي،فأنت بريء،كطفل صغير لم يرى وجه الخطيئة يوماً.فقاتل ماعزك ليس آدمياً ربما،لأن لا أحد قد يجذ وقتنا في هذا البرد ليقتل أحداً.غير من قتله البرد فطمع في المذفة.

وقالت له :

هاك هذا عنوان عمك في المدينة، بإمكانك زيارتها الى أن تجد مأواك الحقيقي .

فأمسكها في يده وجلس في المساء،وحيدا على سريره ينتظر الغد ليرحل،وقال في نفسه :

كيف يغادر من أرسهم ويختفي من أخطه بفرشاتي ،سأختبر نفسي في رسمي هاته المزهرية بجانب السرير لنرى هل هم على حق.،وهل حقا قالت جذتي أنه يوجد من قتل ماعزي وهو ليس إنساناً! أينبغي ترك جذتي في هاته القرية مع تلك الوحوش الأدمية وأخرى غيرها التي تتصيد الأغنام!

فأخذ فاندوسكي فرشاته الملونة وقماشاً أبيض ليرسم عليه وبدأ ليلته بأخر رسمة في تلك القرية وعندما إنتهى من الرسم وضع الرسمة أمامه والمزهرية أيضاً، وتمدد على سريره لينام،مشغول البال بمن يكون قاتل ماعزة.

وفي الفجر اليوم التالي إستيقظ فاندوسكي على إثر صراخ أهل القرية وهم يقولون:

ألا يزال ذاك اللعين هنا،سنطرده بالقوة إن لم يرغب بتطوع،ووجدته تحاول إسكاتهم ولكن بذون جدوى ،فوقعت عيني فاندوسكي على لوحته فلاحظ شيئا متغيرا ،لقد إختفت المزهرية التي رسمها من فوق الطاولة بجانبه ،ووجد أن في الرسمة إضافة غير مفهومة إنها آثار مخالط حادة تخط الرسمة بأكملها.عندما سمع صراخ والضجيج المفزع ،فأسرع الى الخارج مع رسمته الجديدة،يخاطب الناس :

هذا ليس أنا،وأنا لست قاتل صديقي،ولوحتي هاته دليل براءتي،إنها تحتوي على أثر غريب لكائن ما يحاول قتلي .

فإبتسم أحد الشيوخ وقال: أهذه تمثيلية جديدة لألا تخرج من القرية يا فاندوسكي؟

رد فاندوسكي : إنني لست من النوع الذي ينسى عشرة سنين في تانية من الجوع يا عم! فحمل فرشاته و لوحاته التي رسمها ورمها أمام أهل القرية ،فأتى بقداحة وأشعل النار في كل تلك اللوحات؛وقال بنبرة هزلية: هاكم إسترجعو أشياءكم من بين الرماد،ولو كان فيكم خيراً لتعيدو أيضاً ماعزي اللطيف دعسول ،وقد أبقى على لوحة ماعزه دعسول ومزهريته المخفية وحمل أمتعته وعانق جدته وخرج

من القرية في صمت قاهر يشوب أهل القرية ،جو يعمه الصدمة ،فلم يكن أحد ينتظر من قاندوسكي أن يحرق لوحاته بكل تلك البسالة، فأخذ قاندوسكي طريق الغابة بذل طريق المدينة، والقبيلة عادت لروتينها، وعندما يغيب أحد أو يختفي شيء يتم تنشيط القرية بأكملها بحثاً عنه فتتجول أخبار أن إختفاءها يعود لرسم قاندوسكي لها وإذا مات أحدهم فقاندوسكي السبب، لربما يختبئ بين أحشاء إحدى منازل هاته القرية. بل لم تعد القرية منذئذ كما كانت، فقد أصبحت تفقد يومياً آلاف الأغنام، وحتى البشر أنفسهم يجذونهم مقطعين إلى أشلاء مرميين داخل منازلهم وهو ما خلق الذعر بين أهل القرية فأغلبهم غادرو ولكن هل فعلاً غادرو أم أنهم لم يستطيعوا تجاوز حدودها بفضل ذاك الوحش المجهول ،ولكن جذته كانت تدرك أن مصيرها محدد مسبقاً فلا هي تخاف من شيء ،ولا الخوف نفسه يحوم بمنزلها، فهي تعيش بلامبالاة أمام جيرانها الذين نادراً ما يطمنون عليها ،أهي على قيد الحياة أم جاء دورها لتكون الولىمة.

فالخوف دائماً ما يأتي بالخطر، ولو كان منعزماً ليكون أخطر ما يربك العقل .

فقد بدى قاندوسكي ليس اللعنة، بل مضاد اللعنة نفسها، وبينما قاندوسكي الشاب العشريني متوجه للغابة مع حقيبته المملوءة بالألوان وفرشاته السحرية وبعض أكل، تعثر في غصن شجرة فإذا به يسقط من أعلى منحدر وسط الشجيرات الشائكة، فيصرخ من الألم واليأس مبالغاً في ورطته، فنهض بعد نحيب طويل لعدم إستحماله كل تلك الأشواك القاسية، وهو يبحث عن حقيبته التي أضعها أثناء التدرج، فعثر عليها بعد جهد مريع من البحث ممزقة، مرمية فوق الأعشاب فارغة من كل الأدوات وما بقي منها سوى فرشاته و ألوانه الباهتة السوداء .

فقال بنزعة من اليأس: الويل لهذا العالم الذي لا يُقدّر الفن، فالفن ليس مخرجاً بل هو المدفئة للأرواح التي تشعر بالبرد، والغرابية في هذا الوطن.

وراح يخط الطريق برموز تصف حالته النفسية، فيرسم على الشجرة رمزا غريباً يحيل على كآبته وألمه، وبعض الأشجار يرسم عليها أشخاص باهتو الملامح، يتحدون وضعيات مقلقة في هذا الوجود.

إن الذي لا يجذ المفر، يحفر نفقاً يودي به نحو مقصده، وهذا هو الفن.

فُرسومه تلك كانت من نَشْبِ خياله، ولم تكن واقعية بتاتا، إلا أنها تبدو كأنها حقيقة تنجبها الأوضاع الباردة في عقول إبداعية، وللعجب لم يكن واع بحقيقة رسمه، حيث أنه كان يعشق الرسم على أي شيء ولا ينتظر من رسمه حمل شيء، كان فقط يرسم ليرسم، فأخذ يساير شغفه في الرسم الى أن وجد نفسه أمام قرية مهجورة، تحوم من حولها صفوف من أشجار فتخفيها عن الوجود، فأثيرت شهيته إبداعية وأخرج فرشاته من جيبه وانتزع قميصه أبيض لكي يرسم عليه، وعندما بدأ الرسم وقد إقترب لينهي اللوحة، جاءه من الورا ظل ينعكس على أرض، فيصرخ به قائلا : اوه ماذا تفعل؟ أتجيد البناء؟

لقد كان فاندوسكي طوال الوقت يشعر أن شيئا ما يتبعه منذ أن غادر قريته، والى الآن فهو يراقبه بحذر قاتل، لربما كان الوحش المفترس الذي تركه في القرية أحب أن يصطحبه في مغامرة .

فالتفت فاندوسكي، فوجده رجل في الأربعينيات من عمره شاحب الوجه قصير القامة وعينه صغيرتان، يظهر أنه من بين رعيل إحدى القرى المجاورة.

فتوجه إليه فاندوسكي خائفا يرتعش لمنظر الرجل وهو يقول:

لا بل أرسم قريتك المذهلة !

فأمسك الرجل ذو الأربعين من عمره ذات الملامح الراشدة مع ملابس غريبة يدي فاندوسكي بعدما رأى رسمته المذهلة وأدخله وسط القرية، والقشعريرة تفوح من جلده خوفا من الآتي، فقال الرجل :

لقد جئت الى أصلك، فنحن سلالة تجيد البناء، فصفق مرتين وقال عبارة « فيسترا كيستر فيرنيمو » مرتين فإذا بالأشجار تتحرك وتترجح من مكانها، وفجأة يخرج من بينها أناس ذات أشكال غريبة ومحتشمة يظهر عليها الخجل، فقال الرجل :

أتعلم أن هاته القرية هي قرية مهجورة في مظهرها ومعمره في أعماقها، فسكانها بشر أصليين، قد إعتادو تحدث مع أنفسهم ومع بعضهم فقط ولا حاجة للغرباء، بل لا يحبون أن يتطفل عليهم أحد، فقد ولدو هكذا نسبة لأسلافهم محافظة على سلالتهم النقية، تلك التي اكتشفت البناء أول مرة.

فكثيرهم من يشعرون أنهم في حاجة للآخرين، وقليل من يفضل التحدث الى نفسه
كي لا يضطرّ لرؤية بلاءٍ أحد.

وللحظة تقدم رجل مسن دو الشعر الأبيض والجفون المتدببة وهو يقول للرجل:

أحضرت لنا غريبا الى كيندو يا فُولس ؟

فأجابه الرجل الأربعيني: "فولس"

لا لم آتي بغريب بل أتيت بأصلنا ،إنه أروع من بيني الوجود !

إنه حيثُ تقام الشعائر المنسية،لذالك الفن الغابر،إنه الكينونة التي أوصدها الزمن
في وجه سلاتنا وما نحن اليوم نستعيدها في هذا الفتى..

فقال الرجل المسن:

أذهبت الى قريته لجلبه لنا،لربما كان أمر صعبا فنحن نحتاجه لبناء جيلنا الذي
فقدناه ..

فقد يكون أفضل أن تقابل غريباً في الغابة على قريبٍ في منزله""

فقال فولس:

لقد قاسية الكثير ،أخفيت بنطالا وَخَفِينِ وَقَتَلت قطة وَعَنزة !

فصرخ فاندوسكي قائلاً:

أنت كنت وراء كل هذا الوغد البائس ؟

فضحك فولس وقال:

يا رجل كنت أمزح ،عندما كنت سارحا في الغابة وجدت أطفالا يتحدثون عن
شخص دو الحظ البائس الذي بفضلله قتل ماعزه وإختفى الخفين وحتى القطة، لم
تسلم من بؤسه؛ فأسرعت في تتبعك الى أن وجدتك قد سبقتني الى هنا !

فجاءت فتاة جميلة من بين الحشد ماسكة قماشاً أبيض في يدها والبسمة تستنفر
فاندوسكي فكلما إقتربت تراجع خطوة الى الوراء، خوفاً من المجهول ،فوقفت
الفتاة وقالت له :

يا سيدي أنت بارع في البناء بل في تمثيل الوجود،إنك ملهمي وحلمي الوحيد أن
أجد صاحب هذه الرسمة ،فأدارت القماش في الجهة الأمامية فإدا بها رسمة
فاندوسكي أولى التي رسمها في سن العاشرة .

فعندما رأها فاندوسكي تفاجأ وقال : اوه إنها رسمتي أولى ،بل خربشتي أولى
التي أهنتُ بسببها آلاف المرات،فمزقتها ورميتها بين شجيرات.

فلا تستهن بما تكونه يوماً،فقد تكونُ قدوة لأحد وملهماً له ،وأنت تظن في نفسك
أنك أسوء فاشلٌ على وجه الأرض.

فقالت الفتاة: إنها لرسمة عجيبة ،وكل أهل القرية أعجبتهم ،وقد أيقنتُ بأنك
ستأتي يوماً ما باحثاً عن فَنِّكَ ..

فقال فُولِسٌ للفتاة:

سيرقلي خدي ضيفنا الى منزله الجديد الى أن يجد طريقه !

فأمسكت سيرقلي بيد فاندوسكي والخجل بادٍ على جفونه .

فقالت له:

إن قريننا عجيبة ،أهلها يخجلون من الغرباء وكل شيء من خارج القرية ولكن
أظهرت أنك تنتمي الى سلالتنا ،نحن السلالة التي تحب البناء (الرسم).فإبتسم
فاندوسكي أول مرة في حياته،بعد كل هاته السنين من الحزن واليأس لوفاة
والديه،ولكنه إستعاد فرحته بإبتسامه من فتاة .

إن في العالم وجوها تحدو الى إبتسام رغم وطأتِ الحُزن وصفعات الكآبة
المؤلمة ومع ذلك تبقى معلقة في السماء تضيء العالم عند رؤيتها .

فقال فاندوسكي :

أريد أن أرى كل بناء في هذه القرية .

فقالت الفتاة :

حسنا إنها في غرفة سلاتنا القديمة في بئر السبيرغواي°

فأخذته الى آخر مكان في القرية تحت صخرة ضخمة ،حيث تشوبها آلاف الرموز والمعاني القديمة بلغة صعبة وغير مفهومة وأمام ذهوله فتديع رغبته في الرسم تلك الصخرة فقال :هل وصلنا ؟أهذا حجر سلاتكم؟

فغضبت الفتاة لوقاحة فاندوسكي وقالت له بكل جرأة:

لو أعدتْها لعانية من عقاب" آلهة" تلك التي تحرس بقايا أسلافنا

ليس الجيد أن نكف عن صنع الحماقات،بل أن نكف عن نشرها أيضاً.فقد ترى حماقة في رأيك وفي مكان آخر شيء غير مألوف،وفي بقاع أخرى ذكاء وحيلة،لدى فالأحمق ليس سوى إنسان،ينال من نفسه بشيء من الغرابة التي تجعل منه موقع سخرية للجميع.

فدخلت تحت الصخرة وناذت عليه لإتباعها وكلما تعمق تحت الصخرة دُهلَ لما رأى كل ما كان يرسمه ينقل الى هناك ،وعندما وصلو وجد القليل من الناس يرسمون على الجدران فقالت له الفتاة:

إنهم أبناءنا وهم يُبْنُون وَجُودنَا و يحملون فيها أوردتنا ،فقاطعها فاندوسكي في الطريق وقال : أليس هذا رسم ،انه مجرد رسم لرجال يرعون إبل !

فضحكت الفتاة وقالت:

لا ليس رسما بل إنه بناءٌ فُرِيْرَانُ،فالفرق بين الرسم و البناء ان الرسم يمكن ان ترى من ترسمه امامك أمّا البناء فقد تتنبأ بوجوده امامك،قبل أن يحصل ،فموروثاتنا في بناء مقسمة كل حسب رمزياتها بل لقداسة علاقاتها فهناك فريزان تشكل اغلب البناءات،فترمز للقرابة بالدم،وأنواع كثيرة لا يمكنني التحدث فيها،لأنها تكتسي حرمة إلهية يعاقب بالموت من يحاول التحدث عنها،ويصفي من القبيلة.

إن أفضل عقاب يناله المرء فيعود عليه بالنفع،ذاك الذي يشقى به طويلاً فينتهي بتوانٍ عندما يلتقي مع الخلاص،فيصبح الشقاء ذواً،الفراق لقاءً.

وفي المساء إجتمع أهل القرية في ضفة الوادي الذي بجانب القرية بإعتباره يمثل روحاً و مهدناً لقلق أهلها ،يتناوشون فيما بينهم.

إنه النغم الروحي الذي يبقي الأرواح سعيدة مهما لمّ بها الألم وزاد شقاء العمل،فلكى،تتسى ألم عليك بوادٍ مازوران،إنه حيث تلتقي الأرواح التي تنقب عن نفسها،فتجتمع سوياً في بحر يثمل ارواح فينتزع منها كل شقاءها.

فعندما يرغب أي فرد من الترويح عن نفسه،يذهب إليه فيصرخ بما يحمله من قوة حتى يفرغ من إبطه ما يكسوه من ألم،فيعود صافياً كطفل الولؤذ.

إنه حقاً الطبيب الطبيعي الذي يفلح ذوماً في إنتزاع أمراض بمنتهى السهولة .

فإذا بقاندوسكي يقف مع الفتاة أمامهم،وفجأة عمّ الصمْتُ والكل متوجه أنظارهم إليه،لربما ينتظرون منه فعلا ما ،أو سلوكا يقوم به إزاء وقوفه أمام الملاء،لأن أي واحد يريد قولَ أو إسماعَ شيء يقف أمام أهل القرية ليعمّ الخبرُ،ولكن قاندوسكي فاته الأمر وبقيت أسماع تنتظر المعزوفة ولكن المطرب قد نسي ألحانه،فأمسكت الفتاة بقاندوسكي وأجلسته بجانبها مع الحشد ،فإذا بطفل صغير يجلس بمحادثات قاندوسكي فيصبيه بعضى صغيرة في رجله اليمنى ليثير إنتباهه ،فعندما أحس قاندوسكي بألم تلك العصى وهي تخترق جلده وقف منزعاً يقول:

أوليس لك عقل يا هذا ،فإذا به يجد طفلا في التامنة من عمره بيتسم في وجهه،حتى عاد قاندوسكي الى مكانه وهو يقول "انه لعب أطفال"

فدائماً الخوف يجعلنا نتوقف عن فعل ما نبذو أننا قادرون على فعله،بدعوى أننا سنخرج او سنفشل،لدى لا تصدق،وقم بما يحلو لك،إنه يومك ولحظتك التي لن تتكرر.

فقال الطفل :يا عم أنت هو داك....؟

فوجه قاندوسكي وجهه اليه متعجبا ا:

مَنْ ؟

فأجابه الطفل: وحش لاغور ايسن .

فضحك فاندوسكي قائلاً:

لا يا عزيزي لست وحشاً ،ولكن من هو وحش لاغور ايسن؟

فتذكر مقتل ماعزه دعسول،وقد تساءل عن كون هذا الوحش الذي إسمه لاوغور ايسن هو نفسه قاتل ماعزه..

عندما حاول الطفل إجابة،أخذته يدان كبيرتان من وراءه تقول له :

يا عزيزي كم مرة قلّت لك أن تكف عن الحديث الى الغرباء!

ففي بعض الأحيان يكون حديثنا الى الغرباء أفضل ألف مرة من حديثنا الى الأقارب.

وفجأة حضر أحد حكماء القبيلة الى وسط المجمع تم قال بصوت مرعب :

سنرى اليوم رقصة كيورفيان الخاصة بقبيلتنا التي إعتدنا أن نراها في كل مناسبة ،وجلس بعيدا عن فاندوسكي تم دخل بعض الناس والمجمع مقوس يشكل حلقة حيث يشبه سيركاً حديث التشكل،والكل متحمسون لما سيرون هدا اليوم ،حتى فاندوسكي لم يفتئه فضول الموقف فدخل المزيد من الناس متحولقين حول منصة العرض،وقد حان دور الراقصين ليرقصو،فدخلت النساء يلبسن أثوابا طويلة ومختلطة ألوان و الرجال يلبسون جلابيب متوحدة الألوان وكلاهما ينافس الآخر ومن يفوز في إطاحة بأخر سيحكم القرية لباقي أسبوع ليحين دور مرة اخرى ليقام هدا التنافس.وقد إقترح أحد الحكماء،أن يختار فاندوسكي ليقدم زعيم القبيلة المستقبلي عندما يفوز أحد الفريقين.وفجأة وقف شخص ما من بين الحشد قبل أن يبتدأ استعراض وهو يصيح للملاّ :

يا أهل القرية إني أتیکم من بين الجحور،حاملا لكم غفوتي التي دفعت فيها سنينا قد مضو !

فصاح أحد الجمهور بقوله:

أيها المهرج لست مدعوا للعرض ، فأكرمنا بسكوتك يا بيوقان !

فصاح بيوقان قائلاً :

إنكم تخفون الذئب بصوفكم يا خراف ؛ أوليس من بينكم أسدا يزار دون أن تفتح شهيته، فهل تعلمون أنكم قد أدخلتم الصياد الى الغابة ، فأدلتموه على وكر ذئبنا العزيز وعصافيرنا الناذرة . فقالت الفتاة:

من الذئب ؟ وكيف لنا أن ندخل ذئبًا الى قريتنا.

فقال بيوقان: إن ذاك الشاب، هو وحش لاغوراييس، إنه قاتل العمدة جوري كولسلان، فالיום قد جاءنا بصفة شاب بريء وفي وقت آخر سيجيء بصفة فتاة حسناء، لنقتل أهلنا وأطفالنا...

فوجهت أنظار الكل الى فاندوسكي تملأها إحتقار والدناءة، فعندما رأى فاندوسكي كيف يرونه، حينها توجه مسرعاً الى كوخ فحمل فرشاته، وقميصه المرسوم عليه صديقه دعسول، وفرَّ هارباً من تلك القرية، فوقف أهل القرية متعجبين لفعلة، لقد كانت مجرد مزحة غبية يقومون بها في كل موسم إحتفال . فالبلاء لا يأتي من البشر وحدهم، بل قد يأتي من حمقى غير البشر أنفسهم، فلا تأتي الحشد من مكان جوعهم، بل جئهم من حيث شبعو، فالجوع نذل والشعب ساكبة.

عندما يحضر اليهم أحد الغرباء، يحضرونه لباقي العروض فيبتدون بهذه المزحة في حالة بقاء الغريب ، ولغرابة عادات القرية لم يكن لأحد الفرصة لينهي يومه فيها دون أن يفر هاربا .

وفي الليل الدامس ، وبينما هو يخطو تسلل الضياع الى عقله ، حيث وجد نفسه وسط شارع مهجور ، فإذا بفكرة تقع على عقله المشوش ، متذكراً تلك الورقة التي أخذها من جدته ، وفجأة سمع صوتاً لضجيج سيارات في الجهة المقابلة من الغابة ، فواصل المسير متوهماً أنه سيجد الخلاص في آخر الشارع ، ثم وصل الى منعطف حيث لا يوجد اي شيء يساعده في العودة او أن ينقذه من وحدة الليل القاتلة حيث يصير صوت الصراير بشعة تنقب أسماع، حينها رأى

ضوءاً فارغاً من الضوء يتقدم نحوه فإذا به يظنهم أهل القرية حيث هرب منهم خوفاً، فواصل الهرب الى أن أعياه التعب، فوقف مستسلماً لصاحب المصباح، وركع على قدميه مترجياً إفلات من الموت المحتم، فأغض عيناه حتى كاد يبكي حينها، توقفت سيارة كبيرة أمامه بينما هو ينتحب ويصرخ قائلاً :

هاكم روجي فداء، فلا غنى في الفداء الروح مهرباً"

فضحك صاحب السيارة وقال :

يا بني من قال لك أنني أريد روحك، ماذا سأفعل بها مثلاً؟ هل أطعمها لأطفالي أم أشتري بها مصباحاً ينير نهاري؟

إن مصلحة إنسان ليس بالضرورة، قد تكون في الحاضر، بل يمكن أن تستبق المستقبل، لينتظر منها شيئاً أغرب مما كنت تود إعطاه.

فنهض فاندوسكي مبتسماً يقول :أوه، ظننتك هم! أيمكنك إيصالني لمركز حافلات أرجوك؟

فابتسم صاحب السيارة وقال له:

هيا إصعد ! ماذا تفعل في هذا المكان ؟

فقال فاندوسكي محاولاً تلطيف الجو:

كنت ألهو مع ماعزي فضعنا معاً، كل أخذته قدماء الى مكان ؟

فرد صاحب السيارة: إن المزاح الغريب دائماً ما يفضي الى مهزلة، فقد ترى ماعزك يشوى الآن على أيدي قطاع الطرق، ولكي لا نمزح طويلاً، فما يضمن لك أنني لست أنتمي إليهم؟

رد فاندوسكي بمزاح: ههههه قطاع الطرق لا يملكون سيارات.

فابتسم صاحب السيارة، وصمت.

فبعد طول مسير ووقفت السيارة ونزل فاندوسكي مباغتاً صاحب السيارة بشكره له عن هذه النجدة التي لا تعوض، ووقف في موقف السيارات ينتظر الحافلة

ليذهب الى المدينة ،حتى الساعة التاسعة مساءً ،حتى أيقن فاندوسكي أنه سيتم ليئته هناك ممتطياً عشب الحدائق ومنشغلا بين النجوم ،سابحا بين رعدة من البرد وسهم من النسيم العطر .

فغى الشاب من الشعب يفكر في سر تلك القبيلة، التي كان متواجدا فيها،ومن طول التفكير نام الكسول دون أن يرفع رمشه حتى،متناسيا الخطر الذي يحذق به،ففي كل خطوة يخطوه يشعر بشيء ما يراقبه ينتظر منه خطأ واحداً ليذفعه كل الثمن.

فحذاري فأمر سيء حينما تتطلب منك اللحظة الوقوف عليها،كي لا تقع في الحفرة فليتم شمل أصحابنا الحفارون ،أولئك الذين يُجيدون طمر لميت بكل بؤسه وشقاءه.

أفاق فاندوسكي على نغم الحافلة،وصريخ الناس وهم يتهاقنون حول ركوبها لينعمو براحة الجلوس على المقاعد وإلا سيظلون واقفين طول الطريق،ولكن فاندوسكي كان جاهلا بهذا القانون ،حينما رآه أحد العجائز فقال له:

مالك يابني لا تحرك ساكناً ،لا أراك تتزاحم كي تفوز بمقعد في الحافلة؟
فأجابه فاندوسكي :

لا مكان يصلح لجثتي سوى السماء وكرسي الحافلة عديم الفائدة في نظري ،أفضل ان أتركه لذوي الأرواح القانطة لتتعم بالراحة ولو لتانيتين من كل هذا الشقاء الأبدي يا عم

فالذي يريد أن يظهر كأنبيل الناس،فليتحمل نتيجة حماقته.

فضحك العجوز وقال متوجهاً للحافلة:

في الحافلة لا تنفع الأخلاق،أسرع يا بني،كأنك تبدو ممن إستقلو الحافلة لأول مرة.

فأسرع فاندوسكي خلفه مستقلا الحافلة،فأخذ يبحث عن النقود في جيبه الخلفي ولكنه لم يجد شيئاً ،فقد وقعت منه بفضل جيبه الممزق،وللحظة سمع نغمة من

تضارب الفيلسوفين في حذاءه فإنتزع الخف في اليمين وأعطى صاحب التذاكر المال، وقد أقرت عيني صاحب السيارة من فعلت قاندوسكي، والكل فعل المثل .

حيث ظنو أنه يضع المال في حذاءه بدل جيوبه، وعندما أخذ التذكرة أسرع ليجلس في مقعد خلفي حيث يظهر عليه انه مهجور، بل لا يزال فارغاً، فركض قاندوسكي يسابق الريح والناس أيضاً، وعندما اقترب اليه، بدت عليه البهجة كأنه ظفر بالمقعد، حتى هذا الوقت كاد يجلس فيه إلا أنه قد تلقى دفعة خفيفة من غريب يزاحمه على المقعد، فأبعد قاندوسكي عن المقعد، وقد فاز الغريب بالمقعد لنفسه، فوقف قاندوسكي غاضباً مكشراً على أنيابه، ما تبقى له سوى أن يقفز ليفترس الغريب، ولكنه أكف عن فعله عندما وجده فتاةً، كانت جميلة وخرابة للغاية، لقد وضعتها الكواكب في مقعده مختارة له ليقع في حبها، ولكن قاندوسكي لم ينفع معه الجمال ولا حتى القوام، فوجه انظاره إليها ليستكشف ملامحها وهي أيضاً فعلت ذلك ولكن نظرتها كانت مستفزة تميطة بها كل خمس دقائق كأنها تقول له: لقد خسرت أمام فتاة يا عزيزي"، فانطلقت الحافلة متوجهة الى المدينة، وفي كل مرة توخره الفتاة بإصبعها في إبطه لتوقظ وحشه العزيز من غفوته، وفي كل مرة ينساب شعوره بالديوع بل بإعطاءها صفقة مودعة الى دار البقاء، ولكنه يحاول عدم التدقيق في الأمر، وها قد اعدت وخزه ثانية وهنا استشاط قاندوسكي غضبا وقال متوجها اليها بإصبعه النحيف: هذا مكاني يا أنسة، وما بالك معي كل مرة توخريني فيها ؟

فراح كل الركاب يضحكون وقاندوسكي وقع في حرجه مغامراً بكل شيء، حيث صاح رجل من الركاب، قائلاً:

يا لهذه الأيام الرجولة مظاهر، عندما كنا شباب لم نترك فتاةً لم نغازلها قط .. كنا اسوداً .. فضحكت الفتاة وهي تقول ماسكة هاتفها الجوال:

من أسرع فسيجد، وها أنت خسرت أمامي، ولكن سأساعدك لأننا وصلنا معاً لهذا الكرسي فتعال وجلس معي".

في بعض أحيان يكون الربح قاسياً، والخسارة أفضل.. مهلاً.. مهلاً.. لا تتوهم أمر، إياك تم إياك والخسارة، أقسم ما لدي من أغنام، أنك ستعاني أسوء الويلات لو خسرت، وخصوصاً م أقرب الناس إليك.

فصدق فاندوسكي البريء مزحة الفتاة وحاول الجلوس بجانبها فدفعته بخصرها فوق ارضاً، فغدى الكل يضحك عليه، فأصيب فاندوسكي بالإحباط وإحراج.

قال في نفسه " دعها يا فيندو فالأمثالهأ تواجدو ليعيشو هكذا، إنهم حيث يلقى كل المنبوذين، نعم تلك البلاوي السيئة التي تفسد كل محصول.

ووقف ماطلا يديه على عمود في الحافلة يتعكز عليه، وفي كل مرة تحاول الفتاة إغاضته بغمزاتها المشفرة، ولكنه لا يستجيب !

إنه كالأسماك التي لا تقع بسهولة في شبكة أي صياد مهما كان طعمه قوياً، وجذاباً..

وفجأة من بين الحشد إنبعث صوت رقيق ينادي فاندوسكي ،...فاندوسكي ...

فألنفت مفرعاً ليرد على المنادي ،فقال المنادي من بعيد هل هذا انت يا فاندوسكي أعجوبة ؟

فخرجت فتاة مراهقة ذات الشعر الأسود وعيناها واسعتان تلبس جلباباً أسود يظهر فانتا مع بشرتها الفاتحة ،والقامة قصيرة من بين خمسة شباب ترمقه بنظراتها المبهجة والمتشوقة الى الحديث اليه ،حيث لاحت إليه بيدها اليمنى من آخر كرسي في الحافلة وتصرخ بصوت عالٍ:

تعال الى هنا ،فهناك مقعد فارغ بجانبني !

فتقدم فاندوسكي متعجباً ،ومتسائلاً من تلك الفتاة ؟ ومن أين تقربني؟

فراح بمهل ،وبحذر قاتل وهو يقول في نفسه " لربما هدا فخ يا فيندو فالحذر".

إنه حق بلاءٌ مميتٌ أن تظل تشك في كل شيء بسبب عطب عاطفي ولد في مزحة احد الأغبياء.

فالكل يرمقه بنظراتهم الفضولية والكل يتهامس إنه حبيبها ،لا بل عشيقها... وحتى تلك الفتاة المزعجة أطالت عنقها لتسترق نظرة مسروقة من لقاءهما ،فتعجبت عندما سمعت بإسم فاندوسكي الأعجوبة،وبدت تتساءل من يكون هذا الفاشل ؟

الأغبياء هم أيضا بشر ولكن الفرق الوحيد بيننا أننا نرتكن في كل قرار الى عقولنا وهم يرتكونون الى عقول الجيران..

فوقف فاندوسكي أمام الفتاة يرمقها بنظراته ،يحاول تحليل ملامحها ومقارنتها مع من يعرفه ولكنه لم ينجح في التعرف عليها،فقال لها متسائلا:

هل أعرفك؟

فأجابته بضحكة يشوبها الحب !:

أنا حبيبتك ،تلك التي تخليت عنها داخل القطار "

فابتسمت مازحة إياه ،قائلة: لا تزال غيبا كما عهدتك رغم أن أبناء القرية يسمونك فاندوسكي أعجوبة،فأنا ابنت جارة جدتك ،وقد إنتقلنا الى المدينة عندما أنهيت سنة العاشرة من عمري ،فهل تذكر عندما كنا نلعب سويا يا فيندو ؟
فابتسم فاندوسكي محرجا حتى هو لا يذكر شيئا مما تقول ومع ذلك أجابها قائلا :
نعم أذكر.

فقالت له :هل لا تزال تخجل من الحديث الى الفتية يافيدو،والمهم هل لا تزال ترسم تلك الخربشات المضحكة للأطفال ،تلك التي كنت ترسمها لصديقتي كايوسف .

فابتهج فاندوسكي وانقشعت نبرته قائلا :

أهذه أنتِ يا سيرفاي ،أحقا هذه أنتِ؟

كم أصبحت جميلة أيتها المتوحشة،ضحكت سيرفاي وقالت :

إنها أنا يا فينبدو، ها أنت دا أصبحت رجلا أيها الوغد، وقد تغيرت بشرتك بعدما كنت أسمرًا، وغدوت أشقرًا كالهرباء، ما كل هاته القامة، والشعر الأشقر وعينان الضيقتان، لقد أصبحت فاتنا أيها العفريت .

فأخذ فاندوسكي يجلس بجانبها، والفتاة الأخرى ترمقه بكل إحتقار، وقال فاندوسكي مخترقاً الصمت؛ ماذا فعلتِ بعدما إنتقلتِ الى المدينة؟

فقالت: فَعَلْتُ الكثير، درستُ وتعرفت على أصدقاءٍ جدد، وها أنذا عالمة آثار متخصصة، أجول القرى أبحث فيها عن بقايا الحياة، بل أنقب عن ثقافتهم وحياتهم السابقة .

تعجب فاندوسكي لما سمع وقال :

أوه جميل، أنا لزلت كما كنت متشرداً في عالم ليس بعالمي.

إن حيثُ لا أنتمي، إنه منفاي الذي يظنه الجميع وطني، إنه مؤلم حقاً هذا الذي نحن فيه، نحن الغرباء أصليون .

فضحكت سيرفاي قائلة :

وموهبتك العجيبة، هل مازلت تمتلكها أم فقدتها من وراء تلك القرية البالية؟

فأجابها فاندوسكي:

كادت تنتشى من أعماقي، ولكني أيقنت أني لا أملك أحداً سواها، وها أنذا مطرود من تلك القرية بفضل رسوماتي، ومتجاً نحو المدينة كمرسول إرتضى الوصول الى صاحبه.

فقالت سيرفان والحزن في رموشها :

لا تحزن يا فينبدو فالحياة في القرية اشبه بالعيش وسط دولا ب طول الحياة، فعندما تعيش خارجه تدرك كم كنت مخدوعاً بتشبثك به وبتقاليدته .

فتعثرت الحافلة في الطريق واهتز قوام كل الركاب،حتى مال قاندوسكي معانقا سيراقي،وفجأة أفاق قاندوسكي من الغفوة نائماً على كتف سيراقي،خجلاً لموقفه حيث قالت سيراقي :

أيها الكسول،لم نبدأ الحديث حتى أمطرتني بشخريك ونمت كالطفل الذي لم ينم أشهراً..

فنهض قاندوسكي مبتسماً وهو يقول :

ماذا الآن،الى أين ستكون وجهتك ؟

فأجابته قائلة:

سأذهب الى قبيلة فيرتيكا التي توجد في نهاية العالم.

سمعت أنها تحتوي آثارا عجيبة،ينبغي لي زيارتها .

فقال قاندوسكي:

أريد زيارة هذا المكان معك،لقد شوقنتني لرؤيته،فهل توجد جزيرة بهذا الاسم؟

فأجابته سيراقي :

حسناً..بالطبع يوجد أم تسمع بها؟،حتى أنا كنت بحاجة لمن يؤنسني في الطريق

ولكن بشرط أن ترسم لي لوحة في أحد معابدها !

فقال قاندوسكي :

لا أبداً لم أسمع بهذا إسم في حياتي،حسناً..سأرسمك رغم أنني غير مقتنع

بقدرتي على إعطائك ملامحك كل حق في الجمال.

فالجملات دائماً ما يصعب رسمهن،لأن ملامهن أكثر تعقيداً من ملامح

البشعات.

فقالت سيراقي مباغطة اياه:

إنك تقدم لي حججا واهية لألا تقوم برسمي، فحتى عندما كنا صغار كنت تقدم لي مبررات لألا ترسمني ولكي ترسم حبيبتيك كايوسف، رغم أنني كنت أجمل منها .

فابتسم فاندوسكي وقال : لا طبعاً سأرسمك ولكن بشرط أن تقبلي رسمتي مهما كانت، فأهل القرية دائماً ما كانوا يشككون في فنيتي وبراعتي في الرسم حتى فقدت الرغبة في شيء، لذلك عجزت عن رسم شيء كي لا أفقده جماله بقباحة رسمي .

فضحكت سرقاي وقالت:

لا إن فنك لا يحتاج لترميم، ولكن ما يحتاجه هو الروح يا فاندوسكي

إنك غائب فيه يا عزيزي!

أوه مهلاً يا فاندوسكي، من تلك الفتاة التي ترشقك بنظراتها من الليلة الماضية، أظنها قد وقعت في حبك ايها الوغد.

فقال فاندوسكي مماًزحاً:

لا لا، إنها الشريرة في قصتي، فالبارحة هاجمتني أثناء القبلولة ولم تترك مجالاً فيا إلا وغزته بوقاحتها، أترين ذلك الكرسي حيث تجلس، كاد أن يكون لي لو أسرع قليلاً حينها، وهي قد إرتمت عليه كدنفيل لم يرى بركة سباحة من قبل، ومن تم بدأت تغيضني لفوزها به .

فضحكت سرقاي وقالت :

إنه الحب يا عزيزي، يبتدئ بالشجار وينتهي بالعشق !

وقال فاندوسكي حينها :

لا وجود للحب، وأنا شخص متشائم يكفيه تشاؤمه هذا !

فالحب في لغتنا، لعب أطفال، إنه سمٌ يتجرعه كل من فقد عزيزاً في قلبه، فيخرج لينقب عنه في الخارج.

فضحكت سيرقاي وهي تقول:

أمازلت تذكر عندما كنا صغار ،عندما مات عم جارنا بيروداي ،والكل تجمع حول منزله ينوحون لمغادرته الى العدم،وعندما ذهبنا معا لزيارة أهل المتوفي لنقوم بالواجب.عندما دخلنا لنسلم عليهم ،عندما جاء دورك في تعزيتهم قلت لهم :

مبروك يا عمي ،بذل عظم الله أجركم هههه!

فاندهش الجميع ،حتى أهل الفقيد أصابتهم الصدمة.

لقد كانت أول مزحة تطلقها،ولكنك كنت تجهل المكان المناسب لتحريرها،من هناك أدركت أنك شخص يغفل فيه التشاؤم ،خصوصا وكل رسوماتك تبعث على التشاؤم وإكتئاب.حقا كنت أعظم أحمق تعرفت عليه في حياتي،ولليوم لتزال مزحاتك تتنفس بذخلي.

فضحك فاندوسكي مومئا رأسه نحو سيرقاي قائلا:

وأنت هل لا تزالين تحبين الشهرة ولم الأوغاد حولك ؟

خجلت سرقاي وقالت :

لا فقد تغيرت،بفضل أحدهم ،وإحمرت خدودها خجلا !

فعندما رآها فاندوسكي خجلة أصر على المماطلة في مزاحه معها،وقال لها:

هيا أخبريني من يكون هذا القرد الذي أوقع بفتانتنا المتوحشة !

فقال له سيرقاي متهربة من السؤال:

اوه هاقد وصلنا الى المدينة،ومن المدينة سنذهب الى تلك الجزيرة.

فلم يلاحظ فاندوسكي ما مر عليه من حيلة وقال:

حسنا .

فوقفت الحافلة وسط المدينة ،ونزل الركاب وانتهى بنا،فعندما وضع قاندوسكي قدماه على أرض المدينة ،تعجب لما رأى الكثير من البشر،والسيارات تنتشأير يمينا وشمالا ،فقد كان عليهم أن يطأو أرضها ليستقلو قطاراً يوديهما الى وجهتهم،فليست المدينة الى الوسط بين البداية والنهاية ،فوقفت عليه تلك الفتاة المجنونة ،تقول له :

ها قد وصلت أيها الوغد،ألا تزال غاضباً مني ،أراك قد تحسست من فوزي ..

فضحكت سيرقاي،وهي تدفع قاندوسكي فتهمس في أذنه :

إنها تحبك أيها الوغد،أنظر الى نظراتها الشرسة كيف ترشقك بهما.

فألتم قاندوسكي قائلاً:

هيا يا سيرقاي،لا تهتمي لأمرها إنها فتاة مجنونة .فقال لها مازحاً"

أحببتك ... نعم أحببتك...لوقت شعرت انني لن احبّ غيرك،..نعم فعلتُ

أحببتك..لكني لم ألقاك وراء الحب ،فلقيتُ غيرك"

فإنذهشت سيرقاي فأسرع قاندوسكي في إمساكها آخداً إياها بعيداً،ذون أن يترك لها الفرصة لتعليق عما قاله من شعز،متخوفاً من تلك الفتاة التي توخره وتتقرب منه .

فخاف قاندوسكي من فعلها،وراح هارباً يجرُّ سيرقاي من يدها وسيرقاي تصرخ من الضحك ،وتقول :

تمهل يا خويف ،إنها فقط معجبة بك .

وبقيت تلك الفتاة مصدومة بفعل قاندوسكي ،فقالت :

يا له من مجنون،كنت أريد أن أسأله عن جزيرة فوكايدو ،تلك التي سمعته هو وصديقه يتهامسان عنها.

فوقف قاندوسكي وهو يتوجه بناظريه الى الورا،متخوفاً من تتبع تلك الفتاة له ،وفجأة وقفت سيرقاي تنظر اليه نظرة شك وتقول:

ماذا بك يا فاندوسكي، لم أعهدك هكذا؟

فضحك فاندوسكي، مرغما على إبطال كل شكوكها وهو يقول:

لا لزلت كما أنا، لست ممن يتغيرون بسهولة، ولكني لا أصدق تلك أكذوبات التي تعني الفتيات.

فاليوم أن تخاف من فتاة، أحسن أن تخاف من وحش، فالإناث كالوحوش التي تنتستر على توحشها، فإن رأيتهما يوماً تتودد إليك فأعلم أنك الفريسة.

فضحكت سيرقاي وقالت:

هيا بنا، أيها الأحمق، فهذا القطار يأخذ الى جزيرة فوكايدو عبر نفق من تحت البحر، فتشوق فاندوسكي للأمر وقال هيا بنا .

وللحظة توقف وقال لها مرتعشا:

أهناك طريق آخر نسلكه غير نفق أعماق؟

إبتسمت له سيرقاي وقالت له:

لا فقط هو طريق الوحيد، هل مازلت تخاف من الظلمة التي تسكن الأعماق؟

فأجابها فاندوسكي :

قليلا هههه

فوصل القطار الى وسط المدينة وقال فاندوسكي لسيرقاي :

الرحلة على حسابك و الرسمه على حسابي!

فضحكت سرقاي وقالت :

حسنا يا عزيزي .

وبينما كان فاندوسكي يحاول دخول القطار إذا بيد تمسكه من الخلف وتسحبه الى خارج القطار، فأدار فاندوسكي وجهه مرتبكاً، فما أسوء من يدان تجهلان من أين ولدى ،

فوجدتها تلك الفتاة البغيضة التي أقلت معه الحافلة أول مرة، فقال غاضبا:
الويل لك ، هل أنتِ مجنونة الى هنا تتبعينني ، ما كل هذا الحب اللعين .

فأغمضت الفتاة عينيها ، تشعر بالحزن، وتقلب رموشها، وقالت له :

أسفة،كنت أريد أن تأخذني معكما الى تلك الجزيرة ما إسمها ؟ فأنا أيضا أضعت
رحلة مع أصدقائي عندما إستقلت حافلة ليست بحافلتي .

فجاءت سيرقاي متدخلّة وهي تقول:

أوه هذه أنتِ ،مرحبا معنا في رحلتنا .

لقد أوسعني فاندوسكي ضربا وهو يتحدث عنك .

فنظر فاندوسكي الى سيرقاي خجلا،محاو لا إسكاتها ولكن بدون جدوى،بينما
الفتاة شعرت بالخجل وإحراج حيث قفزت سيرقاي قائلة:

هيا بنا يا أعزائي ،لنمتطي سهوة القطار الى جزيرة فوكايدو.

إنطلق القطار وسيرقاي تجلس بمحادات فاندوسكي،والفتاة أخرى تجلس أمامها
في مقعد مقابل،حيث ابتدأت سيرقاي بسؤال تلك الفتاة ما إسمك يا عزيزتي :

فأجابت:

إسمي فيوزيل ،وأنا من قرية صغيرة بجانب قريتكم ،أقيم الآن في المدينة بعدما
توفي والداي في حادث جرفي، بعد أشهر من ولادتي، فإنتقلت للعيش مع جدي
،حيث كان لزاما عليّ مغادرة القرية،كانو يلقبونني بالفتاة المشؤومة،لأن والداي
ماتا بسببي!

فقفز فاندوسكي مباغّة إياها :

وكيف ذلك؟

لا أظن أن هناك من يرغب في قتل والديه .

فأجابته فيوزيل:

صحيح، في يوم ما في صيف ساخن، وعندي والدي بأن نسافر لجزيرة فوكايدو المظلة على البحر حيث سمع عنها في المذيع آنذاك، وقد إنشغل كثيرا في عمله كموظف في البنك، حتى نسي موضوع السفر، ولكني أنا ذكرته به وألححت عليه أن نسافر، كنت أظن أنها ستكون نزهة عائلية جميلة، عندما سيلتم شمل عائلتنا، وسيبتعد والدي عن العمل الروتيني حيث يمهلني أنا ووالدي، وفي احد أيام جاء والدي بتذاكر السفر الى فوكايدو عبر طائرة وهذا ما حصل، إلا أنه عندما وصلنا إنصعقنا بالمنظر، جزيرة غريبة، مضججة بالأشجار شاسعة لا تحملها البرية، فقال والدي عندما رأها "هيا نعد أدر اجنا فل وجود لشاطئ على هاته الجزيرة، ولكني بقيت متمسكة بقراري وأجبرتهم على البحث عن الشاطئ، وأمام صمودي على قرار ودموعي التي لم تفارق وجنتاي، قَبِلاً قراري و أخذو رحلة البحث معي، وفي منتصف الدوام، بل في عصر أحد أيام وعندما كدنا أن نصل الى النهاية البحث، كنا منهكين من التعب وسيقاننا الهزيمة لا تساعدنا على الوقوف، وقد وجدنا أمامنا جرفا صخريا يمتد لأبعاد يربط طرفي الجزيرة بجسر مهترئ قريب للزوال، وحيث وقفنا كانت لافتة تقول : إحذر من الجرف !خطر الموت"، ولكننا صمدنا الى أن تجاوزناه بكل صعوبة، وقفنا منتصرين على الجرف الصخري في الجهة المقابلة من الجسر، وكلنا فرح بإجتيازه وهنا حلت اللعنة، وقف والداي ينظران الى المناظر الخلابة، والساحرة، كانت أعلى قمة في تلك الجزيرة ولم ندرك قط كيف تسلقناها بتلك السرعة، وفي لحظة ما تهاوت قدما والدتي الى الأسفل وكادت أن تسقط من فوق الجرف، ولكن والدي أمسكها بصعوبة بالغة حتى وإن لم تكن والدتي تزن الكثير ولكن الجرف كان متيقنا أنهما له بل وجبتاه الدسمتان، وكنت أنا خلفهما أشاهد هذا المنظر البشع، فتحركت بدون شعور إليهما، حيث أمسكت يدي والدي ليسحب والدتي، ولكنه لم يستطع، فتهاوت أجسادهما الى الأسفل.

وكدت أن أسقط معهما لولا أن والدي لم يدفعني الى الخلف متخلياً عن حياتهما لأجلي .

وتلك أيادي الكبيرة التي أمسكتني من الخلف، فدخلت في غيبوبة على إثر تلك الواقعة، وعندما أفتت وجدت نفسي في سريري، عند جدي، وقد نسيت كل شيء

،وكل مرة أسأله فيها عن والداي لا يجيب، وهذا سبب رغبتني في زيارة هذه الجزيرة.

فالأهل مهما فعلو سيظلون يرجون نجاتك، مهما قيل عنهم سيظلون يشفعون لأبناءهم. إنه أفضل من يبقى معك حتى النهاية، فأحسن إليهم.

نفاجاً فاندوسكي لما سمع وقال:

اوه قصتك ،كقصص الرعب .

فلكمته سيرقاي وهي تقول:

نعتذر ،منذ ولادته وهو هكذا منعدم العواطف.

فابتسمت فيوزيل قائلة:

لا عليك، وأنتما لماذا تودان زيارة هاته القرية؟

قفز فاندوسكي قائلاً:

لتنزه.

فأعادت لكمه سيرقاي وهي تقول:

يا لك من مشاكس ، عفوا ،فأنا جنئت لأنهي دراسة في علم آثار وهذا الغبي، جاء ليؤنسني .

إنهم لا يعلمون أن فوكايدوا ليست قرية بل هي سرٌّ مدفون داخل قرية تدعى كاريساكي، إنه الفخ القاتل الذي يقع فيه الحمقى وهذا ما سيقع لهم.

ضحكت فيوزيل وهي تقول:

يا لصداقة هذه الأيام ،كم من المفرح أن تجد صديقاً يعثر تفاصيلك بتفاهته ومع ذلك يبقى رائعاً في نظرك. فأنا لا أملك أصدقاء، وحتى وإن كانوا فهم مجرد منفعيون يبحثون عني عندما ينقصهم شيء.

فوقف القطار معلنا وصوله الى جزيرة فوكايدو، وهاهي ذي سفارة الوصول تصرخ داخل أذان المسافرين، فخرجت سيرفاي وقاندوسكي مبتهجين لما يرون، ولكن فيوزيل خرجت اليها مغمضة العينين، بشيء من الخوف اللادع.

أخذت سيرفاي مذكرتها تكتب فيها ما سيحدث وأخذ قاندوسكي ينقب على مكان جميل يرسمه، فتنتشي رغبته في إبداع، وقد بقيت فيوزيل جامدة في مكانها تحاول تذكر ما حصل في صغرها، ولكن ذاكرتها البريئة تعجز عن ذلك.

فجأة خرج من بين الأشجار رجل عجوز تملأه الوحزات، مغمورا بالدماء صارخاً

أهربو، لقد جاء مصيركم يزحف، انه ورائي تماما، فإما أن تذهبوا إليه أو أن يأتي اليكم .

فتوجه العجوز الى مكان خلف الشجيرات حيث إختفى له الطنين، وإرتعب قاندوسكي لما سمع وقال:

إنه حقا عجوز مجنون... هل كان يعيشُ في شجيرات؟ لا يهْم.. وتناسى امره..

إن أول مخاطرة ينبغي لها أن تشغل في حياتي الى أن أموت بجميع نواقيس الخطر، تلك التي إستحقت من أكبر قدر من الخوف، وبتالي لم تولد تلك المخاطرة حتى الآن.

إبتسمت سيرفاي قائلة:

أوهو، الفتى أعجوبة، لم يعد خجولا، فقد أجاد قول الشعر !

إبتسمت فيوزيل خجلة، وهي تنظر الى قاندوسكي .

فقال قاندوسكي :

ماذا ! شعر ؟ أي شعر قلت، أنا لم أقل شيئا !

فقال سيرفاي :

لربما جو الجزيرة أثّر في عقلك الرومانسي.

فقال قاندوسكي متجاهلاً أمر:

هيا لنتوغل الى أدغال ،ويا عالمة آثار لنبدأ بهياكلك العظمية .

ضحكت سيرفان وهي تقول:

لا تسمى هياكل عظمية أيها البائس ،إنها ثراتنا نحو القديم،وهو نافذتنا لنتعرف على سلالتنا الضائعة وراء هياكل الدينصورات

فقال فيوزيل :

قاندوسكي ،سمعت أن لديك موهبة ،أطلعني عليها ارجوك!

فغمزت سيرفاني قاندوسكي وهي تقول:

وقعت النعجة في غرام الفيل "

فقال قاندوسكي مغامراً بأجواء:

إنني أرسم ،وبفضل هذا الرسم طردت من قريتي.

فقال فيوزيل مومئة رأسها الى أسفل:

جميل ،وصمتت.

وفي طريقهم نحو قرية بيرغفايل تلك التي تحوي آثاراً قديمة،والتي هجرها شعبها ،لقلة مؤونتهم،توقف قاندوسكي عند جرف صخري لوحده ،بينما سيرفاني و فيوزيل تقدمتا الى الأمام ،ماسكا فرشاته و دفتراً صغيراً قد أخذه من سيرفاني ،ليرسم الجرف،وهو قد بدأ يخط بفرشاته ما يراه هناك ،وعندما إنتهى من رسمه ولدت أعجوبة ،فقد وجد أنه قد رسم عائلة لوالدين يحملان طفلاً متجاوزين الجرف بكل سهولة.ولكنه قد تذكر ما قالته فيوزيل عن حادثة الجرف ،وما تعجب لأمره أنه لم ينبعث أرواح في تلك اللوحة،بل لم تظهر أي شخصيات تحاول النجاة من الموت فيها،وفي لحظة إنبعث صراخ من بين الشجر لسيرفاني تنادي :

قاندوسكي ...قاندوسكي.... أنقذني ..

فقد ظن فاندوسكي أن الوحش قد أمسك بإحدى الفتاتين، فترك كل ما في يده، وركض الى سيرفاي لينقذها، وفجأة رأى فيوزيل راحة على الجرف حيث مات والديها، وهي تبكي وتنوح، فوقف فاندوسكي على الجرف يصرخ، سيرفاي.... سيرفاي... والدموع في عينيه تمطر غزارة.

إنه الحب الذي لا يبدو علناً، هذا هو الحب الحقيقي، إنه الخوف المفاجئ، إنه شعور مربك يجعلك تشعر أن أحدهم في خطر، وإن لمسه شيء تتمنى لو إنتقل إليك ألم بذل أن يبقى فيه، إنه حماقة أن نشعر بالألم الآخرين فينا.

فحطت يدان ناعمتان على كتفه، صارخاً من الرعب، حتى إنفلت من حزن الموت الى نوبة من إبتهاج، حيث وجد سيرفاي واقفة خلفه، فوقف وعانقها وكله حزن وخوف .

حيث قال:

أين كنت، لقد خفت عليك، ظننت أنك سقطتي من على الجرف!

وعندما رأيت فيوزيل راحة ظننتك....

فمدت يدها إليه، مجبرة إياه على الصمت تقول:

لا تقل هذا، أنا معك عزيزي.

وفجأة إنفتحا الى فيوزيل الراكعة، فتذكرا أنه الجرف نفسه الذي ذفن والديه بين أعماقه، فأخذت سيرفاي تحمل فيوزيل من على أرض لتواسيها، وحتى فاندوسكي إرتاب في أمرها، لكون الرسمة لم تظهر والديها، ومع ذلك أخذ يمسك يدها وقد لاحظ رمزاً غريباً مرتسماً على يدها اليمنى، وقد رآه فاندوسكي في مكانٍ ما.

" فلا تخبرني عن ماسي، بل ساعدني على نسيانها ولو بقليل من الحماقات التي لا تحتمل، إننا نحتاج لبعض الحمقى لتجاوز شقاء الأيام التي ظلت تطعننا لوقتٍ متأخر."

فراح فاندوسكي يصلح فيوزيل مع المكان مقنعاً إياها، برسمها هي وسيرفاي على ذلك الجرف، وعندما إنتهى من الرسم، إنفشعت المأساة، وراح الكل متفاجئاً

برسمه، كان رسماً عميقاً، متمزج فيه ألوان لثُكُونِ المَشْهَدِ، مع شخصياته إحداهما تقتل والأخرى واقفة بجانبها من المحتم أنها القاتل، فتسقطها من أعلى الجرف الصخري، ولكنه جرف غير ذلك. وشخصيات باهتة الملامح، فقالت سيرفائي متحمسة:

يا لك من وغذ أصبحت تجيذ الرسم بطلاقة..

إن مصير إنسان، ليس بعيداً عنه، إنه يتسلق جسده من قاع أقدامه ليصل الى آخر شئبة في رأسه، فإن بلغ المشيب، خلص النهار وجاء المصير".

فابتسمت فيوزيل تقول: رسمة حلوة، لكن لا أجذ نفسي فيها؟ ولا حتى سيرفائي؟

فقفزت سيرفائي تصرخ: معها حق، لماذا لا نظهر في رسمتك أيها الأبله؟

رد فاندوسكي: إنكما وراء الشجرة! لربما تختبئان من شيء ما... أو أنكما تلعبان الغمضة..

فصححت فيوزيل النظر فوجدت نفسها هي سيرفائي مختبئتان وراء شجرة ترتعدان من الخوف، ولكن فاندوسكي غائب في اللوحة..

فقالت سيرفائي: هل هذا هو سبب طردك من القرية؟

فرد فاندوسكي مبتسماً: أجل لأجل هذا!!!

فقالت سيرفائي: إن أسوء جريمة قد وقعت حتى الآن، هي أن يولد المبدعون في قرية تحكمها تقاليد محبطة لأي فن.

فالرائع في تخلف الدول أنها تكرم راقصات الملاهي، و أولائك الصراصير الطنانة بذل المفكرين، و العلماء، إنهم يظنون أن الأمة ستتطور بفضل راقصة لافضل مفكر عظيم وهب حياته لبناء عالم الثقافة.

الحمقى اليوم غير جذيرين بإدارة الثقافة، إنهم ماديين طماعين يجعلون كل قيم تباع بالمادة، فحتى الثقافة عادت تساوي ثمناً، إنهم يبيعون لنا الأخبار أليسو هؤلاء الحمقى جيذيين في البقاء صامدين وراء طمعهم المخزي.

فأخذت فيوزيل رسمة فاندوسكي ،مطالبة إياه بأخذها ،فقبل،تم واصلا المسير نحو قبيلة بيرغفايل،وقد وصلو إليها بعد جهدٍ مثعب من السير،حيثُ وُجِدَتْ مهجورةٌ لا تطأها إلا أقدام النمل والغربان المتوحشة فقالت سيرقاي :

فيوزيل هل سمعتِ بهاته القرية من قبل! إنهم يناذونها قبة الشر!

فردت فيوزيل: لا لم أسمع بها ،لكن سمعت من عجوزين في حافلة أنها قرية مسكونة بأرواح راحت ضحية لقطاع الطرق والقراصنة المتوحشون.

فخافت سيرقاي وقالتُ: أشعر بالخوف يا أصدقاء هيا لنعدُ من حيثُ جنأ..

فضحكت فيوزيل تقول: هل إرتعتي من القصة يا حبيبتي؟

ابتسمت سيرقاي بحرج تقول : لاأبدأ..

فابتسم فاندوسكي قائلاً: يا لك من جبانة يا سيرقاي ،لاتزالين كما عرفتك تخافين من أي مكان تطأه أقدامك.

فأغمضت سيرقاي عينيها وخفضت رأسها الى الأسفل ،من الحرج حتى دمعت عيناها من هذا الموقف البغيض.

فعندما أحس فاندوسكي بخطأه وقف بمحاداتها يتأسف لها عن فعله الأحمق..

فمهما كان التأسف مرضياً لن يعوض ما كسر بداخلنا،فاياك ومحاولة كسر شيء في أحد،فأصعب هو لَمْ شتاتِهِ وإرجاعه كما كان .

عندئذ زعزعت الشجيراتُ فخاف أصدقاء يرتعشون من المجهول الذي قد ينهي حياتهم،فتقول سيرقاي وهي ماسكة يدي فاندوسكي : لربما روح الشريرة،هيا لنغادر....

فخرج من بين الشجر الرجل العجوز (مصيرهم كما قال).

فصرخ أصدقاء الثلاثة من الرعب،فقال فاندوسكي :

هذا أنت.....فالتفت عند سيرقاي يطمئنها " إنه فقط العجوز الذي إلتقينا به سابقاً..

فقال العجوز: ألم أخبركم أنني مصيركم؟

رد قاندوسكي بسخرية: نعم قلتها، وقلت أنك الغبي الذي ظل يتجسس علينا ويراقبنا طوال الوقت .

فقال العجوز: هل تتجهون الى قرية كارسلقينيا أم تلك السمات فوكايدوا؟ فقد لاحظت أنكم تجاوزتم قريتين وظل لديكم خيارين، وكل هاته القرى تنتمي لجزيرة تدعى بوزاركوث. فهل أخطأ تصويبي؟

رد قاندوسكي: نعم أخطأت فنحن نتجه نحو قرية بيرغقايل!

فرد العجوز بدهشة: أوه، نعم نسيت أن قرية بيرغقايل توجد بين قرية فوكايدوا وكارسلقينيا...

فأبدأً لاتخبر أحداً بما قد تفعل، لأن البشر حساسون جداً، إنهم يسبقونك الى حيث تنوي فيستعدون لإلقاءك داخل الجحيم، بل يصنعون لك آلاف العقبات والفخاخ كي لا تبلغها .

فقد كانت فيوزيل تسبقهم، وبعد قليل سارعت في مناداتهم تخبرهم بوجود قرية أمامهم، لربما هي القرية المسكونة، فركض قاندوسكي وسيرقاي متشبثون بفضولهم وخوفهم من المجهول، فصعقو بما رأوا، إنها قبيلة مهجورة، عشت في عظامها الذمار، فلن يتبقى فيها شيء صالح لرؤية كل الاشياء قبيحة والبيذ في كل هذا لا يوجد.

فقلت سيرقاي: من الواضح أن هذه الجزيرة لم تطأها قبيلة واحدة، بل كانت تُعاش من قبل أكثر من قبيلة، فتوجهت سيرقاي مع قاندوسكي وفيوزيل الى تلك القرية، حيث كانت أكواخ منهارة وأمر أكثر من حرب قد جرت فيها، كل أشجار مكسرة تكسيرا، وأغلب ما بقي في هذه الحياة قد فر من المكان قبل حدوث الكارثة، حتى الأثرية تعجز عن الولادة بعد تلك الحادثة، وما ينبغي أن نعرفه الآن، هو من السلالة التي تموقعت فيها وأي حرب التي جرت على هذه أرض، ومن أطراف المتقاتلة!

فاتخذ فاندوسكي دور الباحث ينقب في تربة تلك القرية، وحتى فيوزيل راحت تتقرب منه ليشرح لها عن ما يفعله، إلا أنه كان يلهو لا يعلم ماذا كان يفعل، حيث سألته فيوزيل :

ماذا وجدت يا فينيدو؟

فجبل فاندوسكي وإحمرت جفونه وقال مثلهاً:

وجدت الكثير... ولكنه سرعان ما غير الموضوع .

فصرخت سيرفاي، حتى زعزعت المكان، فأسرع كل من فيوزيل وفاندوسكي فإندهشو، إنها جثة مطمورة تحت جدار منهار لإحدى الأكواخ، حيث تظهر فيها أنها كادت تتجدد، ولكنها عجزت عن إفلات حيث بقي نصفها تحت جدار ذلك الكوخ، وقد إنعدمت ملامح الجثة، وبانت فيها الشيوخوخة، كأنها مرت من قرون عدة لتصل إلينا، منهاره و متحللة، وعندئذ سمع صوت خافت من بين الخراب يقول: إياكم ولمسي.... إياكم ولمسي....

ولكن هذا الإنذار جاء متأخراً، أمام فضول فاندوسكي حيث أمسك خاتما كان في يد تلك الجثة، وهناك تجمد فاندوسكي في مكانه، حتى سيرفاي وفيوزيل تفاجأ بجموده غير المألوف. فراح الصوت يغني بتهريج عميق، ويقول:

وقعت يا سخييف.... وقعت يا سخييف.....

فأفاق فاندوسكي من تنويم متفاجئاً، حيث وجد سيرفاي ماسكة يديه وتطالبه بالحديث معها. وفيوزيل تنظر في عينيه بطريقة عاطفية تسقط القلوب من السماء، حيث أخذت سيرفاي يد فاندوسكي تلك التي يمسك بها الخاتم، فمدرتها الى أعلى فسقط الخاتم من يده، وعندئذ إسترجع وعيه، فقال لسيرفاي:

ماذا حدث يا سيرو؟

فقال له فيوزيل: لقد خُدِّرَت يا فاندوسكي، وقد دخلت في غيبوبة لخمسة دقائق .

فأسرعت سيرفاي من مكانها بإتجاه كوخ منهار، راغبة في إكتشاف صاحب الصوت، ولكنها لم تعثر على شيء، فأخذ فاندوسكي وفيوزيل غمار البحث عنه

معها ،ولكن لا دون جدوى،فجلسو ثعبين ،ليتناولو وجبة الغداء،وعندما أمسك قاندوسكي جبنته ،سمع صوتٌ عذبًا يغرّد في أدناه فيقول لسيرقاي و فيوزيل ،:

هل سمعنا هذه المعزوفة ؟

فابتسمت سيرقاي وهي تقول:

لقد جننت يا قاندوسكي !

فقالت فيوزيل:

لا لم نسمع اي شيء،لربما سمعك قد تأثر بلمسك للخاتم.

فضحك صوت من بين الشجيرات يقول:لا عليكم إنها لعنة فوكايدوا.

فارتعب قاندوسكي وجلس على أحد الأغصان المكسرة لشجرة عجوز وهو يقول:

ما جدوى الحزن في حالي،والرُهابُ في القلب يغتسل بالدماء،وأني حزن هذا الذي يمتلك كل هذا الطموح ببؤغي أنا ،شاب ذو الحظ البائس.

فضحكت سيرقاي معانقة قاندوسكي تقول:لا عليك،صديقي،لست بانسا.

ولدت مع موهبة عظيمة ،ومن يجيد تعبير عن نفسه لا يعتبر بانسا بل صاحب حظ الوافر.

جلست سيقاي بجانب قاندوسكي تخبره بتجاربها الشخصية،لتنفس عن تشاؤمه،بسلاسة تفاؤلها أخلاقي البائس،ولكنها في أخير أدركت ما تحمله ذات ذلك الوغد من تشاؤم ،لدرجة يتجرع فيها فضاغته في كل رسمة يحاول إحياءها،وفجأة جاءت فيوزيل،وقد جلست بجانبها تستمع لقصص سيرقاي،تلك القصص المثيرة للملل والمضجرة لذوق الشجاع والمبتهج ،التي تحكي فيها عن آثار القديمة والقبائل التي مرت عبر التاريخ البشري وما أثار قاندوسكي قولها أن كل القبائل التي مرت،كادت أن تستأجر قاتلها من أنفاسنا بل تولدت المأساة من رحمها.وتلك هي ما دعاها لمحاربة مبدعيها ومنتقبيها..

ولم تستطع التوقف عن الحديث ،وقاندوسكي منتبه للدرس ،بل لأنه قد رأى نفسه متجسد في ذلك المبدع الذي حاربتة قريته من أجل فنه وإبداعاته .وإنتهى المشهد فبصوت خافت يولد في السماء من أسفل القمر حيث يعلو ،فيوقظ الخوف بقلوب كل من سيرقاي و فيوزيل أما قاندوسكي فكاد ينهي يومه بغفوة طويلة يذهب عقله المبدع ضحيتها إلا أنه لم يُقَرُ بذلك عندما وقف رجل عجوز أمامه بنظرته المرعبة وصوته الخشن القبيح ،ولحيته البيضاء بائسة،وما يثير في كل هذا تعكزه ومشيته الخانقة التي تشبه القراصنة،كادت الفتاتان تهربان لولا وقوف العجوز على قاندوسكي ،فصرخ بهدوء وبهنية حتى أنه لم يسمع له الكنين من شدة الصدمة.

فقال العجوز لقاندوسكي مجبرا إياه على الصمت:

لا عليك يا بني،أعلم انك تذكر صوتي ،لدى لا تفرع من وجودي.

فحك قاندوسكي دقنه وقال:

أنت الصوت الأبيكم ،الذي ولد عندما لمست الجثة ؟

فأجابه العجوز :

إعتبرني كما تشاء .

فنادى قاندوسكي لكل من سيرقاي و فيوزيل ولكن تفاجأ بإختفاء العجوز الأول الذي جاء معهم،فلم يوله أي إهتمام،فقال العجوزلقاندوسكي:

يا بني ،لقد رأيت في عيني إحداهما شيئا أشبه بالحب، وربما الحقد ينتاب أعماق ولكن الأمر مشبوه حتى الآن .

فابتسم قاندوسكي قائلا:

سيرقاي صديقتي منذ الطفولة،وأعرف أخلاقها وأعي صلابة فضائلها،ومن المعيب أن أظن بها شيئا بشعاً كهذا"

فقال العجوز:

إن معرفة إنسان للإنسان لا معنى لها، فحنما يبقى تاريخ إنسان مشبوها يعتريه الضباب، ومهما عايشتهم سنظل تجهل ممن هم مركبون.
وقال فاندوسكي:

وفيوزيل، فتاة لطيفة، عانت مثلي من فقدان الوالديها، وكانت الصديقة الرائعة لنا، فحتى وإن كان خلافنا وأهيا فقد أبطلته ببعض الفكاهة والكوميديا البريئة.
فقال العجوز:

ماذا لو كانت سيرقاي كاذبة، تبحث عن نجاتها؟

وماذا عن فيوزيل، لو إتخذتك مكسبا لرجوعها الى جماعتها؟

بل كيف لك أيها أخرج أن تصدق أخلاق النساء، وكل أخلاقهم تنبني على مثالية زائفة وبراءة مصطنعة، وفي لحظة مقاطعة فاندوسكي لرجل العجوز، جاءته سيرقاي تقول:

أهذا صاحب الصوت البشع؟

أجابها العجوز:

صوتي ليس بشعا، ولكنك تفتقذين لذوق السليم، بل لأذني مطربة شابة.

فقالت فيوزيل:

ما إسمك يا عم، وكيف تعيش وحدك في هذه القرية؟

ماذا حدث فيها بالضبط؟

صمت العجوز قليلا وقال:

لا يهم إسمي ومع ذلك سأخبركم، أنا كايونون وكننت قبلا منتما لقبيلة إسمها قبيلة

لأفايكي بكسر الكاف، كانت قبيلة مسالمة، ذات العادات الطبيعية، كنا نأكل ما نجده ونقتات على الصيد وقليل ما يخرج أحدنا ليتاجر خارج القرية، وفي أحد أيام جاء أحد رحالتنا بخبر موجه أنه قد وُجِدَ في الطريق شخصان ينتميان

لقرينتنا مدبوحان من الوريد الى الوريد ،وقد شك الكل في قبيلة فوكايدو التي توجد بجانبنا ،لكونها تلد المناوشات من أجل توسيع نفوذها والنيل منا ،وغالبا هم من قتلوا أولائك الأصدقاء،خصوصا أن هاته القرينتان تتقاتلان كل سنة من أجل تسمية الجزيرة على إسمها،بل كنا نقيم منافسة تجمع القرى كلها بود ورحابة صدر والفائز منها يسمى الجزيرة على إسمه وفي عام السابق ،فازت قبيلة فوكايدو ولدى بقي إسم جزيرة على حاله الى اليوم،فحثنا لو لم تكن الحرب حينئذ لفزنا وسمينا جزيرة بإسمنا.وهذا الذي لم تقبله قبيلة فوكايدو فأرسلت جواسيس الى قرينتنا ،وقد علم فقهاءنا بهم ،وإندلعت الحرب وخلصت الى دمار كل شيء،وموت آلاف الرجال وحتى النساء لم تسلم منها ومن سلمو قد فرو الى المدينة .

وقد قامت الحرب عندها بدعوى أن قبيلة فوكايدو قد وضعت لعنة في أيدي زعماءها ،لألا يتتحو عن الزعامة بل هم من يورثون الهبة لأبناءهم،وكل السلطة بين أيديهم،وبذلك يحافظون على ملكية الجزيرة بإسمهم وحتى إن أرادت أي قبيلة الوقوف في وجهها فستباد بفضل اللعنة!وهذا ما أصيب به صديقكم.

ما كان إسمه ؟

قفز فاندوسكي قائلا:

إنه فاندوسكي ..

فقال فيوزيل:

يا عم ،كيف يمكننا إزالت تلك اللعنة!

وهل هي مؤدية ؟

فقال العجوز:

لا أعلم ما اذا كانت مؤدية ام لا!

ولكني سمعت أنها يتغير مداها وخطورتها تبعا لشخص الذي تمسكت به ،

فقد علمت أن بعضا قد قتلتهم ،وآخرون أنجتهم من تلك الحرب.

لدى لا يمكنني مساعدتكم!

وعندما رأى قاندوسكي الأجواء محببة ،حمل الخاتم من أرض ووضعها في إصبعه،تاركا مصيره للقدر،وهو يقول في خطبته الميؤوسة:

إن ما يصيبنا سيصيبنا ولو صعدا الى القمر،ولو إختبأنا كالجردان وسط المجاري فسنموت من فرط التسمم ،لدى هذا الخاتم سيكون هو مصيري وهو من سيرسم لي لوحة أخطو فيها الى الحياة..

فابتسم الرجل العجوز قائلا:

أيها الشاب لا أظنك قد أفرطت في طيشك حتى كدت تستحمل نشاط تلك اللعنة.

لكن يظهر في إختيارك أنك تعرف ماذا تريد ،وها أنت معروف الآن بسارق اللعنة ،فمادمت تعي ماذا سيحدث لك بفضلها فستكون أتعس مجنون تعرفه الكرة الأرضية.

وبعدما سمع قاندوسكي كلام العجوز،زاد تخوفه من مصيره حتى وإن كان عاديا ،فمع اللعنة سيبدو مثيراً بل قاسياً لا ينتهي إلا بما سيفضي الى الهلاك.

إن أروع نهايات لا يرسمها سوى البائسون،بل أولئك الدين ملؤ من العيش في أطلال و المقدمات ،فحثما هم أجدر بمعرفة البدايات وهم أولى بها.

البائسون من يبحثون عن الحب،والكوميديون اللائقون يجدونه أمام بابهم"

لاتحاول إيجاد أحد،فقد تكون في ملهى وتجد نصيبك،أو في المستشفى لتجد قريبك،أو تحت الثرية تنتظر حسابك،كل محاولات التي تبوء بالفشل تصنع من خيبتها أقيح الصفات،بل تجعل نفسها متعرجاً للإلحاط.

وفجأة خرج الرجل القديم الذي إلتقاها قاندوسكي ،فصرخ الرجل العجوز بجانبه وفر هارباً،يقول : إنه مصيركم هيا إهربوو. .. ثم إختفى عن الأنظار.

فوقف الرجل القديم ماسكا في يديه عصاً مربوط فيها منجل حاد،يقول : أنا هو مصيركم،فكيف ستلقوني ؟فإرتعبت فيوزيل وسيرقاي وراء قاندوسكي يرتعشان.

فقال قاندوسكي : لا تخافا إنه صديقنا العجوز الذي رافقتنا في رحلتنا منذ البداية...

فلا تخذ من الهدنة سبيلا للنجاة، فقد تجذ وراءها آلاف الفخاخ المنصوبة تنتظر منك خطوة واحدة لنتهي حياتك، فلا تصدق اللحظات الهائلة الجميلة إنها فخ ملفوف بالبهجة والسرور.

فإطمأنت فيوزيل وسيرقاي، ولكن هذا لم يكن ما كان يفكر فيه العجوز، فتقدم إليهم يقول جملته الشهيرة " أنا هو مصيركم فهيا إهربو...."

فشد منجله بقوة وحاول ضرب قاندوسكي به من الخلف، فقد نجى بفضل سيرقاي التي رأت ظل العجوز يتقدم من الخلف، بينما قاندوسكي يحدث فيوزيل في أمر لوحاته.... وفي تلك اللحظة أمسكت سيرقاي بقاندوسكي تبعده عن العجوز فتقول له:

إن ذاك العجوز حاول قتلك، أيها الغبي، ودليل ذاك هو منجله الذي يحمله في يده.

فقاطعها قاندوسكي قائلاً: لا لا إنه مجرد عصي يتعكر عليها المسكين...

فتطلعت سيرقاي إليه لتؤكد لقاندوسكي ما جرى، فوجدت العجوز يشد عصاه المعوجة يحاول التحرك بصعوبة.. فأسرع إليه قاندوسكي يساعده على المشي.

وقد ظل شك سيرقاي منصوباً على ذاك العجوز، وفي كل مرة يحاول قتل قاندوسكي الأبله لكنّ حال هذا الإنسان بالغة التعقيد فهو مستعد ليثق في أي إنسان يراه لطرف الأضعف من بين سلالاته..

وعندما بلغ قاندوسكي مع الفتاتين نصف الطريق تعثر في غصن شجرة فسقط في أرض وللمفاجأة كان العجوز وراءه، والفتاتين أمامه، يسيران مع بعضهما فأخرج العجوز منجله، وعندما إنفتحت قاندوسكي إليه، وجده حاملاً منجله يحاول غرسه في ظهره فهز قاندوسكي يده اليسرى ليدافع عن نفسه، وهو مغروس في أرض، لكنه لم يستطع فصرخ للفتاتين قائلاً : هيا إهربا، فتطلعت الفتاتان إليه فوجداه ساقطاً على أرض كأنه يتنحب للعجوز فوقه وهو يحاول قتله. فأخذ العجوز المنجل وأماطه على جسد قاندوسكي محاولاً قطع رأسه، فسلم الرأس

من الفصل ،ولكنه ترك يده اليسرى تتحمل النزغ،فقد أنتزع يده اليسرى بدل رأسه،فأرته الفتاتان فصرختا من الخوف،وراء منظره البشع أمام رأسه الذي ظل يرتعب من العجوز،ويده المنزوعة التي ترامت بعيداً..

فهربت الفتاتان بعيداً وقاندوسكي ظل متسطحاً ينتظر العجوز ليكمل مجزرتة،فقال العجوز بسخرية: لماذا لم تهرب كالفأر!

فعندما يشعر المرء أن حياته في خطر لن يتذكر غير نفسه فحتى من شاركهم في الروح ليتركهم بين أيدي الجحيم،فينذم عندما ينجو"فالنجاة من الموت ليست أفضل من النجاة من النذم"

فرد قاندوسكي متأماً والخوف يلعب داخل أعماقه: لستُ فأراً لأهرب..

رد العجوز : أهذا كل شيء،ألست إنساناً ؟

رد قاندوسكي والذموع تنسكب من عيناه بسبب ألم الذي يحس به :طبعاً أنا كذلك..فهل ظننت أنني سأهرع للهرب بعدما فصلت عني بعض أطرافني،هل تريد أن تشعرني بالخوف يا هذا؟ أليس من المتوقع أن أفر كما فعلت الفتاتان،طالباً النجاة من هذا العالم!

فالإنسان عندما يحس بالخطر يفر هارباً مبتعداً عنه،فليس يوجد من يقف أمامه فينتزع الخوف من قلبه ومن عقله معانداً قدره.

فابتسم العجوز قائلاً: ألست أحمق،إنك تشاهد أفلام كثيراً تظن أنني قد أغفر لك بعد أن بكيت طويلاً،وتتحبب أطول،فألست شخصاً يحتاج للعيش بل أنت تحتاج للحياة فقط.

فضحك قاندوسكي ساخراً يتألم لانتزاع يده اليسرى يقول: إن أفضل ما يأخذ إنسان هو ألا يأخذ شيئاً،فأحسن في نظره قد ينقلب ضده،لدى لا يهمني ما إن عشتُ أو متتُ ولكني أفضل أن أموت بشرفٍ،بموتة لا يحسدني عليها أحد

أليس من الجيد أن نفعل ما يعجز الآخرون عن فعله،حتى وإن كان السير الى العدم.

وفي تلك أثناء وصلت سيرقاي وقيوزيل الى قرية مهجورة ،بعد عناء طويل من الركض والتعب على نفسيته التي ظلت تحمل ركام الرعب داك ،تلك التي كانتا فيها،ولكن هاته المرة قد وجدتا شخصاً يعيش هناك،يجلس في ركن منها يكتب شيئاً في لأرض ويخطها بأصابعه كأنه متشرد لم يتحمله سوى طابعها الهجروي..

فأقلت قيوزيل: هيا لنعد الى منازلنا يا سيرقاي فقد يعود داك العجوز فيقتلنا كما فعل بقاندوسكي..

فأقلت سيرقاي غاضبة:أبدأ لن أذهب إلا ويد قاندوسكي اليسرى في يدي..

فضحكت قيوزيل وقالت: أتريدين أخذ العظام أيضاً،ألسيت باحثة آثار قديمة وليست الحديثة كيد قاندوسكي!

فردت سيرقاي : أمزح ...لن أتخلى عن صديقي مهما جرى،حتى وإن حفرتُ بئراً ألقى داك العجوز فيه.

فألقيت فكرة على عقلها بفضل هاته المزحة الغربية فقالت : لقد وجدتها.. سنوقع العجوز في الفخّ..وسنحفر له خندقاً نطمره داخله...

فقال المتشرد مقاطعاً شرودهما:

إنكما تبحتان عن الهلاك،فليس الحفار سوى المعذب،وهو نفسه المخلص،إنكما تضعان أرواحكما بين يديه،فياكم وتصديق الفخاخ..

إن داك الرجل هو نفسه سلاح قرية كالستروفيل والتي سميت بإسم فوكايدوا..

فأسرعت سيرقاي إليه تسأله عن سر داك الرجل،وقيوزيل تحاول منعها كي لا يكون مصدرراً للخطر.

فقال المتشرد: إن تلك القبيلة " كالستروفيل " هي متزعمة كل القبائل،وذاك الرجل كان زعيمها،فقد عاش طويلاً تحت نهب أملاكها وسرقة أهاليها وعندما عرفو حقيقته،قتلوه عائلته وصفي لوحده يعيش في الغابة،فيعود في كل ليلة ليقتل

شخصاً من تلك القرية منتقماً لوفاتِ زوجته طفاته الصغيرة. فلم يقتصر قتله فقط على أصحاب القرية بل كل من يزوره في تلك القرية المهجورة يقتله، ومن أراد التخلص من صديقه أو حبيبه أو حتر فرد من عائلته يرسله لجزيرة فوكايدوا ليشعر أنه جاء لحفته، إنه العقاب الآسي الذي يناله الأحقق عندما يصدق منحرفاً..

فقلت سيرفاي :مهلا... أذالك أرشدني زوجي لاوسكي الى هاته الجزيرة مخبراً إياي بوجود آثار جميلة فيها..

فردت فيوزيل تقول: أرى أن زوجك يحاول التخلص منك !

فحزنت سيرفاي متكئمة على إحباطها وكأبتها...

فقال المتشرد: لقد كان أفضل رجل ولكن أتباعه من أفسدوه..

فنطت سيرفاي تقول: لاوسكي ؟

فضحك المتشرد بسخرية الفناة الصاعد: لا ليس زوجك يا مدام، إنه العجوز الذي بدأ يصفى البشرية... فاليوم سميتُ الجزيرة بإسم فوكايدوا بسببه ولولاه لما ظلت هكذا، فالذي يدخل إليها لا يخرج ومن يخرج لا يدخل، فهل رأيتم منجله إنه هو سلاح الذي كان يستعمل قديماً لقتل الجنود الغزاة، وهو ما يطلق عليه إسم فوكايدوا، فله استعمالان الاول كمنجل يقطع الرؤوس والآخر لا يعلمه سواه.

فاليوم الذي نراه كما نرى بعضنا ليس يوماً عادياً إنه حفلةٌ تلتقي فيها أرواح التي تستعدُّ للإغارت على بعضها.. فلا تثق في براءة الأيام ولا في خبثِ الأعمار.

فقد ظننت الفتاتان أن فاندوسكي قد إنتهى على يد العجوز، ولكنه ظل حياً فقد جلس العجوز لأول مرة حول جثة فاندوسكي وهي لزالته على قيد الحياة، ينسج معه أسبا التي جعلته يقتل الناس، وحتى فاندوسكي لم يكن بذاك السوء فقد كان ألمشاور افضل والمرشد الحسن... فقد ظلا تناقشان لوقتٍ أحب الرجل العجوز فاندوسكي، فإبتسم فاندوسكي وقال: خدني كولد لك، ودع القتل فلا هو يصلح لك يا عم ولا أنت تصلح له.

فعدت كل من الفتاتان الى حيث ظل فاندوسكي متسطحاً، يملأهما الخوف والرعب فيلتفتان يمينا تم شمالاً، يبحثان عن جثة فاندوسكي!

وفي تلك اللحظة وجدت سيرقاي وتداً ومجرفة وظلت تحفر الخندق الذي سيقع فيه العجوز وبعد أن أنهته بمساعدة من فيوزيل، بقي شيء واحد وهو إستدراج العجوز له وكانت هاته مهمة فيوزيل، فاقتربت منه حتى وإن كانت لا تراه لكنها تعلم أنه ظل بجانب جثة فاندوسكي، فصرخت بأعلى صوتها تسخر منه لأنه قصير القامة، فنهض العجوز بجانب فاندوسكي من شدة الغضب وهو يسمع ما تثيره تلك الحمقاء فيوزيل من نكت بالية عليه، وأسرع إليها لينهيها ويقضي عليها. تاركا فاندوسكي يتأمل شخصيته، فيحاول منعه من الذهاب إليها ولكنه عاجز، وعندما بلغ العجوز الفخ لم يسقط فيه بل كان وفقاً يستمع لمناذات فاندوسكي له وفي لحظة من التهور سقط في الحفرة، فخرجت الفتاتان من خلف الشجر، يسخران منه وهو مغروس في بطن ارض.

فأكثر ما يفسد القرارات حماقة مسرعة، وتهور مفاجئ في لحظة من التلّف.

فجاء فاندوسكي يقول : لا لا... لا تفعلو إنه عجوز مظلوم، فلسنا كما نظنه.

فقالت سيرقاي: الازلت أحمقاً يا هذا... قطع يدك وكان يود قطع رأسك ومازلت تظنه مظلوماً..

أليست حماقة منا ان نظل نبرر لأشخاص ما يفعلونه، لكونهم يودون طعننا في كل مرة.

فسحبته سيرقاي من يده اليميني ماسكة يده اليسرى المقطوعة وأكملو طريقهم



الفصل التاني : حقيقة اللعنة

الأول من حزيران عام ٢٠٠١

الرسام الأعجوبة

فاندوسكي ورسمه البائس، لم يعد بائسا»

وفي الطريق وجذو العجوز كايونون جالساً على صخرة كأنه ينتظرهم ليصلو إليه، فقال: هل نجوت من اللعنة أم من صاحب المنجل الصدى؟

رد قاندوسكي: أليس من إنسانية أن تحذرننا بوجود الخطر؟

رد كايونون العجوز: لو قلت لك لما صدقتني...

فقد يكون الكذب أسوء من الخطر، والشك هو أخطر بينهم جميعاً..

فابتسم العجوز بشيء من الحرج كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. فقال:

لقد صاحبت دوي المنجل لدى وهبتك لعنتي عش بها او مت وأنت تحاول التخلص منها.

وفي نهاية حديثه، سقط الرجل مفجوعاً، لا يفهم صريخه، هل هو فرح أم حزن ونواح، وهو يقول: بني حافظ على لعنتك!

تم أخرج سكيناً صغيراً من حذاءه، فارتعب قاندوسكي محاولاً الفرار منه، إلا أنه إندهش من عدم فعله شيئاً، بل أمسك السكين وأغرقه في صدره، حتى سمع صراخ كل من فيوزيل وسيرفاي.

وحتى قاندوسكي وقف مصدوما لهذا الفعل المتهور، فسقط الرجل يحتضر فأسرع إليه قاندوسكي مباغَةً إياه، ماذا فعلت أيها الغبي؟

فابتسم العجوز قائلاً:

لقد أوصلت رسالتي، وما أنا سوى مرسل في هذا الزمان، وسيكون لك أيضاً نصيب في إبلاغها، وآخر ما أودك أن تعرفه "لا تثق في النساء! فمن تُحِبُّكَ في يدها اليسرى وشم لخنجري هذا!

فأمسك قاندوسكي الخنجر ونظفه من دماء العجوز، وألبسه لتاماً، وأخفاه في جيبه، وفي تلك أثناء حضرت الفتاتان إليه متفاجئتان بما فعل العجوز يسألن قاندوسكي عن سبب موته، ولكن قاندوسكي لم يبيح لهما عن السبب، فوقف قاندوسكي مبعجلاً روح الشجاعة حيث يقول:

لقد كان له السَّعْدُ في وجودنا ،ولو لم نكن ،لأكلته الذئاب وتناثرة بقاياها شمالاً وجنوباً.

فأخذت سيرقاي قماشاً أبيض لتغطي الجثة ولكن فاندوسكي منعها قائلاً:

لا ينبغي تغليفها بل دفنها وطمرها تحت تلك الشجرة ،فما رأيناه يشبهها "شجرة" في حيلته و قوامه المهترئ،فيشكرنا بعدئذ عندما يجد مؤنسا يشبهه في حاله .

فحملة فاندوسكي الى جانب الشجرة المكسرة،حيث طلب من سيرقاي إتيان له بحفارة وأدوات ليحفر له جحراً يأويه شراسة الغربان وفضول الثعالب،فنظر فاندوسكي الى فيوزيل حيث وجدها ترتجف لمنظر الجثة،بل هي راحة على ركبتيها تنقب في الأرض عن شيء ما ،فتحرك التربة يمينا وشمالاً،وتقول شيئاً بشفاها ،فوقف فاندوسكي تاركاً الجثة خلفه،وأسرع نحوها معانفا إياها وذمء يده تنزف بسبب الحفر وإتكال على اليد اليمنى قائلاً:

لا تخاف،لقد إنتهت المأساة ،كلنا لها عزيزتي !

فقال فيوزيل بقلب يملأه الحزن وشفاه مثقلة بالإحباط:

أجل الحق معك ،لكن أين أبواي؟

إنصدم فاندوسكي لسؤالها تم قال:

إنهما في المزرعة ينتظراننا لنواصل السير إليهم .

فجاءت سيرقاي ومعها أدوات الحفر،فإنصدمت عندما وجدت فيوزيل في حزن فاندوسكي فتدخلت بشيء من الكوميديا قائلة:

إح ..إح ..إليك يا فاندوسكي أدوات.

فوقف فاندوسكي تاركاً فيوزيل ،وممسكا في يد سيرقاي يقول لها:

أجلس بجانبها واسيها في وجعها،انها في حاجة إليك!

وهذا ما فعلت،فأخذ فاندوسكي أدوات،فحفر حفرة كبيرة دائرية الشكل،حتى أنه لم يرى في حياته مراسم الدفن ليقلدها لدى إقتنع بحفر غار وطمر العجوز فيه

وقبل ذلك ،إلتصق خاتم في يد العجوز بقميص فاندوسكي،كأنه يلغنه لعدم إجادته حفر قبر.

ففك فاندوسكي قميصه من خاتم العجوز ولاحظ أنه خاتم يشبه الخاتم الذي لديه لكنه يختلف عنه في رسمه وهذا ما أجبره على الظن أنه أحد زعماء قبيلة فوكايدو بالتأكيد،فعاد فاندوسكي الى الفتاتين يفكر ويقول في نفسه:

لربما اخطأت في حق فيوزيل،إنها فتاة بريئة ليست بذلك البغض الذي ظننتها به في الحافلة،فاجتمع أصدقاء الثلاثة وتوجهو الى القرية التي بها تحاول سيرقاي إكمال بحثها فوجدت بها أناس آخرون ينقبون عن الآثار وكلهم شوق في العثور على شيء،فوقف فاندوسكي يشاهد المنظر،والخبراء الباحثين يتحركون في كل الجهات فخطر في باله ان يرسمهم.

وقد أخرج فرشاته العجيبة وأخذ ورقة من دفتره،وراح يرسم كل ما يراه،بيده اليمنى وفوزيل تحاول بكل وسائل أن تسايره في ملاحظته وفي تجسيده للواقع داخل اللوحة،ولكن القطار فاتها،ففي كل لحظة ينظر فاندوسكي إليها يراها ترمقه بنظرة عجيبة ،وحتى إستغراقه في التفكير يجدها تنظر اليه بخلسة،فتقول سيرقاي لفاندوسكي تمازحه:لقد وقعت فتاة في حبك أيها ابله!

ولكن فاندوسكي راح يكمل لوحته وفي نهاية اللوحة وكالعادة كانت الصدمة،لقد غطت الجزيرة موجة هائلة من المياه حيث راح الكل ضحيتها، وقد بقي فاندوسكي وصديقتيه على قيد الحياة بفضل الخاتم ، في تلك أثناء لم يُعِرْ الناس لتنبؤات فاندوسكي أي إهتمام ،حتى سيرقاي وفيوزيل لم يصدقاها ،فقد ظننَّا أنها إحدى خربشاته العظيمة،مادامت جل تنبؤاته لم تتحقق قط،وفي تلك اللحظة إنقشع فاندوسكي من مكانه ،يقول بمنتهى الخوف:يا جماعة نحن خلف الموت" ،هيا يا صديقتي لنهرب ،إن شعوري النبوي أقوى منه الآن،فعندما وجد أن كلاهما لم تحرك ساكناً، راح يصرخ وسط القرية ،محذرا من الطوفان،يقول بملأ عظمته:

أهريو،اليوم لكم وغدا لن توجدو فيه لتقولو عني شيئاً،إنه الطوفان!!!!!!ان

والكل يرمقه بنظرة من الغرابة ،أحدهم يقول :من أين أتى هذا الفتى!

والأخرون ينددون بجنونه .

وعندما بَحَّ صَوْتُهُ عَادَ الى صديقتيه اللتان لم تصدقانه، وجلس بجانبهما ،فإذا بالطوفان يعتري البرية، فيقترب من القرية بسرعة هائلة، وفي تلك اللحظة إنصدم الكل حتى الصديقتين، فقال قاندوسكي مسرعا هياا يا سيرقاي و فيوزيل، وراحو يركضون من شدة الخوف، وعندما إقتربو من القرية المدمرة حيث مات العجوز إنجذب قاندوسكي لفكرة غائبة قد حضرت في دماغه، حيث إختبأ العجوز من الحرب في وكر صغير أشبه بالكهف على جرف تلك القرية .

حينها إرتمى أصدقاء بين الشجيرات إذ لا يفصل الطوفان عنهم بضع سنتمترات، فسقطو فوق جُرْفٍ يَمْلِكُ كهفًا، فتسللوا إليه حتى يمتنع الطوفان عن البقاء هناك، فقد كادت فيوزيل لتذهب ضحيته لولا سيرقاي ،وها قد نجى أصدقاء الثلاثة و عمت القرية مياه البحر، ومات من لم يصدق نبوءة قاندوسكي.

جلست سيرقاي ترتعش من الخوف والضحك يتغلغل الى أطرافها وهي تقول:

كدنا نموت لولا رسمتك الغبية يا قاندوسكي!

فصاحت فيوزيل أنظرو يا أصدقاء أحدهم عالق بين الشجيرات، يحاول النجاة، فأخذ قاندوسكي حبلا كان في حقيبة سيرقاي، وألقاه قاندوسكي الى الرجل في أول أمر أفلته تم عاود إرساله، حتى تمكن الرجل من إمساكه، وعندما سحبه قاندوسكي كان الرجل مثعباً لدرجة غاب وعيه عندما لامست قدماه تربة الكهف.

بقي أصدقاء جالسون ينظرون الى عظمة الطوفان كيف لا، وهو قد إكتسح ما بناه إنسان لقرون، بل مَحَى كُلُّ أثرٍ للوجود إنساني، ولكن إنسان لا يزال يَغْتَرُّ بنفسه أمام هكذا كوميديا ضخمة تفقذه الوعي في البقاء دون أن يصعق في عظمتها.

ففي أغلب أحيان تكون المخاطر أمًا للحماقات ، فكثير هم من يبتذعون حماقة ساقلة بدعوى التهريج والكوميديا لكنهم في الغال تنعكس على أحوالهم النفسية ليذبو راحلين ماسكين في أيديهم حرجهم المرصع بالكأبة.

في الصباح اليوم التالي ،توقف اليوم عن السير بينما وقفت العصافير عن إبداع النعمات بل أصبح الجو قبيحاً بعدما زارهم ذلك الضيف ثقيل الدم

الذم(الطوفان)،الذي لم يترك مزحة باقية لتكسو السهرة ،بل لتكون تحلية صباحية تجمل كل الأذواق،حتى أفاق فاندوسكي على نعمة أنجبها فراخ الرُّخ على حائط الكهف ،يوقظهم من أحلامهم الواهية،حتى فيوزيل وسيرقاي إستيقظتا مكشرتين عن أنيابهما،وهما معانقتان كأصدقاء الطفولة،فعندما إستوعبو ما جعلتهم الطبيعة يقومان به،أجبرتهم ثقافتهم على النزوع كل الى ركنه،بفضل خجلهم من تلك الموقف المحترمة التي لم تولد الا خارج كل وكر،فابتسم فاندوسكي للموقف بادٍ عليهم إخراج،فرؤو حركة تنبعث من الرجل الذي أنقذوه من الموت،حيث أسرع إليه فاندوسكي ليعلم ما ادا كان على قيد الحياة ،أم أنه يحتضر.

،ولحسن الحظ أفاق الرجل وهو يصرخ ،كأنه كان وجبة دسمة لكابوس بائس،حتى صرخ من الفزع" الماء ،لا الماء ،لست غارقاً بل أطفو "،فإنفتحت عيناى والعرق يغسله من أول شعرة في رأسه لآخر إصبع في قدميه،تم نظر نظرة حوله فرأى كل من فاندوسكي وفيوزيل وسيرقاي ،فهدأ من توتره وقال :
هل أنتم من أنقذتموني؟

ضحك فاندوسكي وقاطعته سيرقاي تقول:

لا ،لم ننقذك بل أنقذت نفسك بنفسك ،عندما كدت تغرق حملتك قدماك إلينا .

فقال فاندوسكي :

يا عم نحن من أنقذك عندما كنت تحاول إمتطاء ذلك الغصن الميت من الشجر .

فقال الرجل:

شكرا لكم ،أنا صحفيٌّ من جريدة العُويستك العالمية،وقد حضرت الى هاته القرية لأصور الآثار التي عثر عليها المنقبون والباحثون ولكن هذا الفيضان أفسد عملنا وأحبط آمالنا وكل من مكان معي ذهب الى معدته الجائعة وقد بقيت أنا وحدي لولاكم لإتبعتم الى معدته،فهل أنتم باحثون أم مجرد سياح ؟أجاب فاندوسكي:

تلك سيرقاي صديقتي منذ الطفولة وهي باحثة ومنقبة على أثار، أو لنقل عالمة أثار مبتدئة، وتلك صديقتنا فيوزيل وهي سائحة كما أنني مجرد سائح أرغمه الفضول لإكتشاف هاته الجزيرة.

إرتسمت بسمة مبغضة على وجه الصحفيّ، وراح يشكر الفتاتين وقد أكثر من الشكر لفيوزيل، فيبدو الوقح زير نساء متوددًا الى فيوزيل الجميلة، وقد بدى على قاندوسكي الكره والبغضاء فيقول في نفسه: لو أنني لم أنقذه، لقد ساعدنا الذب على النهوض من غفوته البالية، وهاهو ذا لن يترك لنا من العسل شيئاً..

فقال قاندوسكي محاولاً جذب إنتباهها إليه:

هيا يا فيوزيل لنذهب فقد جفّت المياه على الجزيرة.

لا تفرط في أخلاق والقيم الحسنة عند التعامل مع إنسان، فكثرت العسل تقهر النحل...

وخرجو مسرعين، ينقبون عن بقايا الحياة في مكان دمره الفيضان، فلم يجدو شيئاً، حتى أشجار ذهبت مع مياهها، فقالت سيرقاي لقاندوسكي مازحة إياه:

فيندو أتذكر الباردة، تلك الرومنسية المحتشمة، بين أحضان فيوزيل، أيها الوغد حيث وجدت راحتك وإبتسمت شفتاك .

فقال قاندوسكي مسرعاً:

يا لحسك الكوميدي يا سيرقاي، أنظري الى الرجل لربما يحتاج لبعض النكت ليتزحزح بعيداً عن فيوزيل.

فقالت له سيرقاي مباغته:

أوه، أيها النذل إنك مغرم بفيوزيل وتسعى لبقاءها بعيدة عن ذلك الأحمق بتقديمي أنا إليه.

فراى الصحفيّ لوحة قاندوسكي، تلك التي رسم فيها القرية وهي تتعرض لدمار على يد فيضان، وفعال متعجباً: من رسم هاته الرسمة؟

فقلت فيوزيل مبتسمة :

إنها رسمة قاندوسكي، إنه شاب موهوب، وهو من تنبأ بقدم الفيضان ولهذا نحن هنا، ناجين من الموت بفضلته .

فأحمرت جفون قاندوسكي، وبينما سيرقاي ترشقه بكتفها تذكر مقولة الرجل العجوز أن من تحبه سيكون هناك وشم لخنجره على يدها.

وهذا ما بقي في ذاكرة قاندوسكي حيث سعى لينقب عن الوشم بكل شراسة فيقول في نفسه محاولاً إرباكها لينقلت موضوع الحب من ذاكرته :

إنني ولو بلغت من إفراط في الحب، ما يجعلني أبذلُ لشخصٍ ما، فلن يكون ذلك الشخص سوى نفسي، إن حب النفس ليس أنانية، أنانية هي أن نبدل الحب لأشخاص لا يقدرونه، ثم نعود محرجين إلى أنفسنا لتتكبر، من أول ينبغي عدم إضاعة كل هذه الأحاسيس بل يجب تلميعها وإرتقاء بها في الذات " أحداً قط لم يجرب أن ينبع الحب من ذاته ونفسه يقصدها".

فقلت فيوزيل خجلة :

قاندوسكي، أريدك أن تعرف شيئاً

فقاطعها الصحفي بقوله:

أصدقاء كيف نخرج من هاته الجزيرة الآن وكل الطرق مغرقة بالمياه؟

فقلت سيرقاي، لدي جهاز إتصال في حقيبتني لربما يصلني بأصدقائي في المدينة لكي يأتوا إلينا !

فقال الصحفي:

قاندوسكي أطلعني على رسوماتك، فلربما أعجبتني وجعلت العالم فوقها!

فضحك قاندوسكي قائلاً:

سأطلعك عليها، ولا أهتم لما بعد ذلك!

وعندما شاهد الصحفيُّ رسومات فاندوسكي تعجب لها باعتبارها إعجابه لها وهو يقول:

اوه لوحات رائعة،موهبتك خلابة ،سيكون صداها عجيبا في المستقبل،عندما تظهر في المدينة.

إهتز بدن فاندوسكي مبتهجا يحاول الغرور تسلقه من أسفل قدميه،لما قاله الصحفي،وقد أعجبت الصديقتان بما قاله،فقالته سيراقي ممزحة إياه:

ستنسنا عندما تنشر يا فاندوسكي؟

وقلت فيوزيل:

طبعًا،ستكون أروع فنان !

إبتسم فاندوسكي يظهر عليه الخجل فقال :

فيوزيل أنت أول شمس غزت عالمي المظلم فجعلته أكثر نوراً.

فابتسمت فيوزيل وقالت في خجل:

لا لشمس أن تكون دون قمرها الامع.

أنت عالمي يا فاندوسكي ،اه عفوًا قد أسرفت في الكلام.

رد عليها فاندوسكي : "متسائلا"

هل تحبينني يا فيوزيل ؟

ضحكت سيراقي،فأجابته فيوزيل بشيء من الخجل:

ربما ،لست أظن ما بي ،ولكنّ أظنك غزوت قلبي .

فقال فاندوسكي باغتراب:

أنا أيضًا ،فقد سرقت قلبي في الحافلة وسرقته في القطار وحتى على الجريزة قد سُرقْتُ وهذا إعترافي.

ضحك الصحفي وقال:

لقد ولدت داخل المأساة قصة حب أبناءها غرباء، يجمعها غبار صدفة.

إرتبكت سيرفاي، بل أصابتها الغيرة، فقالت منزعجة:

مبروك يا صديقي، فرحتُ لك يا فاندوسكي فقد تساءلتُ طويلا الى متى ستبقى عازباً أيها الوغد.

فأمسك فاندوسكي يد فيوزيل محاولا التعبير عن مشاعره؛ وفحصه ليديها إن كانت تحتوي على الوشم المقصود، ولكنه تفاجأ بعدم وجوده، وقال في نفسه "

لربما كان العجوز يهدي عندما بدأ يحتضر، هذه عادة الموت تجعل صديقها يفكر في فعل الخير على الدوام.

فجاءت طوافة من نوع الخاص الى الجزيرة حيث رَسَتْ على شاطئها، وبينما أصدقاء الأربعة، يواصلون تتبع إشارة نحو الطوافة، فقد عادو أدراجهم من مكان مجيئهم، فحتى العجوز الذي دفنه فاندوسكي قد جرفته المياه الى البحر،

ومع ذلك واصلو السير الى أن وجدو الطوافة ترسو في نصف آخر من الجزيرة، تلك التي كلفتها سيرفاي بالقدوم، تلك أرض التي لم يبلغها أصدقاء. فأسرعوا إليها، وكلهم وهج في العودة الى وطنهم.

فقال فاندوسكي محاورا نفسه، وهو يحاول ركوب الطوافة لأول مرة: هل كنت تخاف؟

لا أصبحت أخاف، أصبحت أخاف من أن لا أجد نفسي داخل نفسها، بل مرتعب لشدة الفزع ألا أكون انا هو نفسي، حقا كم هو مُثعب أن نفكر في ما اذا كنا نحن هم نحن، كيف لا وأنا لا أشعر بشيء غير الإغتراب يلهو بداخلي، إن مثل هذا الشعور يدفعني للجنون، هل هذا أنا الذي يمتطي بطن الطوافة؟ أم أنني بقيت مجرؤفاً مع باقي ضحايا ذلك الكئيب "فيضان"؟

وهاتفد وصلت الطوافة الى المدينة،بينما فاندوسكي ملتهى في التفكير فيما ادا كان يحلم أو أنهم كانوا ضحايا ذلك الفيضان،وبينما فاندوسكي ،يحاول النجاة من الغرق تخطر بباله هاته الفسحات البطولية ،في أنه قد أنقذ بل نجى من حنّفه،فلحظة يشعر بلكمة قاسية تقاس بعضلة الرجال،إنها سيرقاي بجانبه توقضه من هلوسته.

فأخذ فاندوسكي يطمر كل تلك إحتمالات خلف أدنيه ويقول:

ذاكرة بغیضة،أكبر عدو للإنسان ذاكرته ومشاعره،فهما من بين كل شيء،الدين لا يمكن التحكم فيهما .

حطت الطوافة في قلب المدينة،وقد شعر فاندوسكي بإرتباك لمنظرها الرائع،لأول مرة يرى أبرجة عالية وكم فائق من السيارات كالنمل يلهو في أسراب يسرعون في الذهاب ولا أحد يذهب،فأخذت سيرقاي فاندوسكي الى منزلها وعاد الصحفي الى منزله،فحتى فيوزيل يجهلون وجهتها،لقد إختفت عندما حطت الطوافة،فعندما سقط فاندوسكي كالأبله من عليها فجرحت يده اليمنى ،فراح الكل يسخر من سداخته ،فأخذت سيرقاي فاندوسكي الى منزلها ،فقال سيرقاي لفاندوسكي :

هذا منزلي يا فاندوسكي مهلا ألم ترى فيوزيل عندما وقعت من أعلى الطوافة؟ فأجابها: "محاو لا تناسي حزنه": لا لم أراها.

فليس علينا البحث عن من أراد الرحيل،فأسوء ما نجنيه من كل هذا البحث هو خيبة أمل خانقة .

فقال فاندوسكي : سيرقاي ،قلت لي انك متزوجة،ألن يكون هناك مشكلة ان وجدني زوجك هنا؟

ابتسمت سيرقاي وهي تقول:

لا طبعاً،فزوجي متفهم ،وسيفهم وضعي.

فراح فاندوسكي الى غرفته، مثعباً، لا تحمله قدماه، وسقط مهدوداً حتى قبل أن يتناول عشاءه، وفي الصباح يوم التالي، وعلى ضوضاء السيارات وزمزررة أصحابها أفاق فاندوسكي منزعجاً منها، فقد كان يألّف صوت ديكهم البارع في الغناء وصوت أبقاره الجائعة، فقد كاد عقله أن يرتمي أمامه لقباحة تلك أصوات في عقله، فسمع صوتاً ينبعث من الخارج ينادي:

فاندوسكي..... يا فاندوسكي.... أسرع لترى؟

فنهض فاندوسكي مرتعباً، يسابق الهواء في خروجه نحو ساحة المنزل حيث الصالة كبيرة، بجانبها مطبخ وصالة صغيرة في اليسار، تلك هي صالة الضيوف، اذا بسيرقاي تتواجد بها تشاهد تلفاز أثناء تناولها الفطور، فوقف فاندوسكي متفاجئاً، فإدا به يرى لوحاته التي رسمها تعرض للبيع في مزاد علني، بأغلى أثمان، واقف كصخرة مصدومة في وجه كاسرها، تقول سيرقاي:

فاندوسكي إنها رسمتك، هل أنت بخير؟

أجابها فاندوسكي بعد طول إستماع :

هل يختلف إن كنتُ لستُ بخير؟ ما لزوم هذا السؤال البغيض، مادمننا ندرك أننا نعاني اليأس على دوام، كيف لولائك الحمقى الساذجون أن يقتنعوا بتلك البخير خاصتهم، فأنا حتى يزعجني من يسألني عن حالي كأنه بهذا السؤال الفقير سيعيد إليّ بهجتي، فما فائدة أن يعرف المرء حالة آخرين، إنه لتطفل على الحالة الشعورية لمحاولة إستفراغ القيمة الوجودية .

فاللصوص ليسو أقل شأناً من أولائك الذئاب التي تبرع في التنكر، فالיום أصدقاء وغداً أعداء يستعدون بفخاخهم المثيرة للشفقة ليسقطو بقرة فقط لأنهم يحتاجون للحليب.

وبعد قليل نهض من بين الحاضرين داخل المعرض، صاحب اللوحات الفنية، ذلك السارق البغيض الذي إستهدف هذا الفن المنزوف، أوه الطامة الكبرى تسترق النظر الى فاندوسكي، إن السارق هو الوغد الذي صاحبهم في الرحلة ؛ تلك الفتاة الجميلة، الفاتنة التي سرقت لوحات فاندوسكي وسرقت قلبه حتى، إنها فيوزيل .

فقلت سيرقاي متفاجأة: أهذه فيوزيل الطيبة؟

أجابها فاندوسكي :

لا إنها تشبهها ؛ فربما وقعت مني تلك اللوحات وإنشهرت تلك الفتاة عندما عثرت عليها.

فقال المعلق في التناز :

إن الفنان الصاعد الذي أنجبته مدينتنا اليوم ،قد إختتم الفن بلوحاته الشاهقة التي تدفع الروح نحو خلودها وإسمها فيوزيل .

فقلت فيوزيل :

لقد كان الفن روحي منذ الأزل،وها أنا قد وجدت التعبير المناسب لما أبدو عليه !

صفق لها الكل،والحسد يعلو بين النساء والذكور يشتهونها بين أحضانهم وبين أنظارهم ،إنهم ألطف المخلوقات عندما يتعلق أمر بأنثى.

وقف فاندوسكي مصدوما لا يدرك ما عليه فعله قالت سيرقاي :

هيا يا فاندوسكي لنسترجع فنك من تلك السارقة الوقحة"

فأمسكت يده وخرجا قاصدين المتحف حيث يقام المزاد العلني،عندما وقف فاندوسكي أمام لوحاته الثلاثة الاولى لصاحبه دعسول ،والثانية لمزهرية مسروقة والثالثة لذلك الجرف حيث يحمل كل من سيرقاي وفيوزيل،فقال فاندوسكي مباغأة العرض :

إنها سارقة ،وتلك اللوحات ملكي أنا "

فإندهشت المسكينة برؤية فاندوسكي فتجيبه بمنتهى الذعر :

لاء إنها لوحاتي أنا ايها الكاذب ،وبدأت تسقط بعض النموع الكاذبة !

فعندما رآها الحاضرون ،اغلبهم يشكلون رجال وهي تبكي،تأكد أمر ومنحوها ملكية اللوحات،فبدموعها الكاذبة تكسب الحرب قبل أن تبدأ بها،وبهذا جلس

فاندوسكي ينوح ويكي مثلها ليؤخذ رأيه بمحمل الجد، حيث قال أغلب الرجال
دوي اللباقة المصطنعة:

ماذا يفعل هذا البشع؟

أهو بيكي أم يفسد ذوقنا الرائع، فلو كان فتاة لإختصر النواح في مجرد بكية
عابرة .

فتدخلت إمراة عجوز تقول:

لا تعرف المرأة سوى المرأة، وسنقرر ما إذا كانت الفتاة صاحبة الرسمة، وذلك
بمنافسة في الرسم، فأحضر شابين أدوات لرسم وهنا حاولت الضحية أن تبدو
كضحية بقولها " لا يمكنكم سرقة فني ". ولكن النساء لم يصدقنها وحتى ومع قلة
عدهن أمام الرجال، فهن يؤثرن في الرأي العام، فبدأت المنافسة بين فاندوسكي
الشاب الموهوب الساذج، الذي وقع في فخ أنثاء البشوشة و فيوزيل السارقة الفاتنة
، فقد كان فاندوسكي ممتلاً الفكر، حيث أحفاد الأفكار تنكب خارجاً عبر لوحاته
الرائعة، ولكن فيوزيل عجزت عن الرسم فراحت ترسم طبيعة وبعض أشجار
البانسة، وفي أخير، إنقشع الوغد بينهما، وخسرت فيوزيل أمام فاندوسكي، حيث
إسترجع الرسام رسامته وما عاد يلقب بدوي الرسم البائس، و خرجت فيوزيل
من المشهد مغبونة، يحتقرها الجميع، حتى فاندوسكي عجز عن بدل هذا إحتقار
أمامها بل عجز عن بدله نهائياً، وقد داع صيت هذه السارقة المجنونة في أخبار
وقد إمتنع فاندوسكي عن الظهور في التلفاز مادام هو نفسه يكره الشهرة بل
يذكره أمر عندما كان صغيراً يستهزئ منه أطفال لرسمه البائس ومن تم لم يجراً
قط على الوقوف أما الحشد، فجاءته فيوزيل قبل أن تغادر المعرض قائلة:

لقد فزت أيها الوغد، أنت لا تستحق هذا الفن !

فقال فاندوسكي :

لقد أحببتك يا فيوزيل، فلماذا كل هذا؟

فأجابته :

اوه أحببتني ؛ أنت تحلم يا صغيري

فأنا لم أحبك قط ،إنك أشبع مخلوق رأته عيناى ،وقد تفاجأت من نفسي لصبرها عليك كل هاته الفترة .

فأنت لن تجد من ستحبك ،لمظهرك هذا،ستبقى عانسا طول حياتك !

فجاء الصحفي وهو يقول:

عزيزتي هيا لنذهب !

هنا إتضح الصورة لفاندوسكي ،لقد وقعت المعزات في شباك دثبنا العجوز، وهذا ما عجل من شهرة فيوزيل مساعدة ذلك الوجد لها .

إنكسر قلب فاندوسكي، وأصابه إحباط،حتى ذلك التشاؤم الذي يشوب مزاجه ،قد وقف مصدوما من حاله يقول " التشاؤم أنفع من الحب إنه القوة"

إنه لمن السيء أن نرسو على لاشيء،بكيانٍ مليئ بالزجاجات المكسورة،إنه لحطام خبيثٌ،يجعل أي نبيل ينقلب الى متوحش لا يرحمُ.

أمسك فاندوسكي قلبه متألماً أمام رسمته الجديدة التي بها فاز على فيوزيل ،لم يهتم لما تحمله من تفاصيل،بقدر ما إهتم لحبه لها ،وعندها وقف بعض الناس يشاهدون لوحته وحتى سيرقاي بدت مندهشة في تلك الرسمة،فقالته مبتهجة:

فاندوسكي أدركت ما تحويه رسمتك هاته؟

فاتجه إليها فاندوسكي محاولا تدميرها من شدة الغضب ،فلاحظ أن تلك الرسمة هي حب درامي قد خلق فوق أرض يسكن في أعماقها الناس ،كانت رسمة عميقة وما زاد من أزمة فاندوسكي أنه قد رسم فتاةً تحمل رمز الخنجر في يدها اليسرى ،فلم يئز فاندوسكي سوى تلك إهانات الوقحة التي وجهتها السارقة فيوزيل له ،فكم هو كريم ذلك اللص الذي يعطي نصائح حول أخلاق السارقين والنشالين،فكم من أحدٍ يجيد تصنيع الصدق،وهو أسوء الكذابين وأندلهم على إطلاق.

إنشهر فاندوسكي وداع صيته،وإنعجب الكل برسمه،وقد صاحبه سيرقاي في كل مراحل الحياتية؛فبعد شهرين من بقاءهما معاً،قال فاندوسكي :

سيرقاي لماذا لم يحضر زوجكي ولا مرة الى هذا المنزل ؟

فقالت :

حقيقة ، لا أملك زوجاً ،ولست أدري ما يجعلني أتوهم أن لدي واحداً"

فقال قاندوسكي فرحاً:

أتعلمين أنك أروع فتاة، بل أحسنهن على إطلاق.

لست أدري هل هذه صداقة أم حب ولكني أدرك أنك ظلتِ طريق بداخلي .

فلم يحالفك الحظُّ في الخروج منه.

فقالت سيرقاي:

هذا ما كنت أخاف منه ،خفت أن تحبني ،وأنا أكره الحب بل أراه مجرد تلاعبات
و تفاهة وجودية! أسفة فأنت شاب لطيف تستحق أحسن فتاة .

ضحك قاندوسكي وقال:

أعلم ،لقد فهمتك !

فقالت سيرقاي :

تستحق كل خير،ستجد فتاةً متعفة "بنت ناس"

تكون طريقك في الحياة!

وكانها تخبره أنها ابنت غير شرعية ،إنها متبرجة تجوب الشوارع تبحث عن
فأرها العزيز.

أبطاً قاندوسكي اللحظة وألبسها حجاب الغموض وتركها مقهورة تبحث عن
المنفذ للخروج،وقال في نفسه:

لن يعثر المرء سوى على بقايا كائنات بائسة ظلت لزمن طويل تنتظر فناءها
بفارغ الصبر !

وتناسى موضوع الحب ،وعاد الى منزل سيرقاي حيث لم يجدها هناك،وفي المساء تماما،نظر من نافذة غرفته فشاهد أعجوبة ،إنها سيرقاي تعانق رجلا آخر ،وهذه الثقة العمياء التي تغمره تحاول الآن الإنتزاع منه ،فعندما جاءت الى المنزل وحاول فاندوسكي محاورتها في هذا الموضوع قالت بكل جرأة:

اسفة،فكل ما رأيت حقيقي،إنه شاب لطيف وجميل يحبني وأحبه ،وقد قلت لك ما قلته لألا تجرح من كلامي ولكي لا أدمر مشاعرك.

إن مثل هاته الكائنات البكماء التي تدعي البراءة أكبر سبيل من الوقاحة اللاذعة التي بها توقع المرء في فخاخها وبفضلها تطمره في كآبته و حطامه.فلا هي تكون زوجة صالحة ولا حبيبة بانسة ،كل ما تجيده تزيين الأجساد وتلبيد الأكاذيب لتبدو منقحة تكسو أعماق الجو.

إن الحب مظاهر،والكاذب من يتهم أخلاق والفكر بذلك.

لكم أن تتخيلو حال فاندوسكي عندما خانتة فيوزيل،ورفضته سيرقاي ،كم سيكون أمر بانسا،والقلب طري على وشك إنذثار هدا في حالة بقاء القلب كما كان ،حتمًا هذا الساذج قد تحمل كثيرا ليصل لهاته المرتبة،في شخصيته إبداعية،فهذا إنحطاط العاطفي الذي تشهد أعماق دون أن ينتبه له الجئات لهو أفسى ما تحمله الذات من عقاب،ومن هنا ينصهر الإنسان فيما أن ينتحروا إما أن يقوى وتتقلب شخصيته رأسًا على عقب،وهذا ما وقع لفاندوسكي ،هذا الكائن الحساس الذي حاول مرة في حياته أن يبذل الحب دون شيء،فعاد بدونيته نحو حطامه المؤلف،مع جسده النحيل،وكآبته المجنونة.

عاد فاندوسكي الى قريته،تلك التي طرد منها،محاوولا العيش فيها بإسم آخر وبتنكر يحجب شخصيته البانسة ،فلكون شخصيته لم تجد في أنحاء راحته.

،وكثير من مثله حيث يعتاد تربة أصوله فلا يعيش على أثرية غيرها،إنها التي تصلح لجهازه النفسي.دخل القرية كمتشرد فقير يتعكز على عصاه المعوجة ،تاركاً خلفه شؤمه ورسوماته البانسة وشهرته التي لا تزال مجرد طفلة .

لقد تسلل الفتى الى القرية كإصبع خفي حيث أثاره ما قد حصل من تغير في تلك القرية منذ رحيله منها، فقد أعيد ترميمها، كأنها عاشت لقرون من بعدي، وتبدل حالها وأحوالها حتى شعبها الذي كان ألفي نسمة أصبح يقدر بالسبع آلاف نسمة، تغيرت مسالكهم ومنابتهم حتى الملابس التقليدية إنقرضت كأنه بمجيئه من المدينة، فقد أحضر معه طابعها الحداثي، ذلك الطابع الوقح الذي قلب القيم رأساً على عقب، فلم تولد بعدها سوى أخلاق إقتصادية وأخلاق إجتماعية وسياسية، بل ما عاد للمرء سوى أن يصنع لنفسه القيمة إجتماعية، ليعيش راضٍ كل الرضى عن نفسه، بل ليفوز بالتساوي عادل بين كل طبقات، لقد إعتاد فاندوسكي زيارة كل أماكن بل أراد أن يزور جدته ويستشرف حالها دون أن يلحها أحد، فيردونه مقتولاً، فسرق بعض أقمشة البالية من تاجرٍ، ووضع فوق رأسه قبعة ممزقة تحاكي حاله البائس وتشرده المصطنع، وراح يتسارى القرية بمظهره المتشرد حيث يحاول بلوغ جدته دون أن يلحها أحد، ومع كل خطوة يخطوها يزداد إبتهاجه لما يرى، لقد ساءت أحوال وزاد إزدهارها، بل إن هذا إزدهار ولى إنحطاطاً فيما بعد متحجباً في زيه اللبق حيث سموه الحداثة".

وهاهو فاندوسكي في طريقه نحو منزل جدته، وعندما وصل إليه، وقد إعتاد أن يدخل من الباب الخلفي، ولكن هذا المنزل قد أغلق منذ زمن، حيث وقف فاندوسكي متفاجئاً أمام المنزل المغلق حيث بدأ يرن تم يرن ولا أحد يجيب! وقد كان للمنزل نافذة كبيرة كان يتسلل منها فاندوسكي، فعندما دخل بواسطتها وقع داخل الصالون تماماً، حيث بقيت كل اشيء كما كانت على حالها منذ أن رحل، وفجأة فتح باب المنزل وإذا برجل عجوز يصرخ من الرعب قائلاً:

إنه لص، يا ناس إنه لص! ولا أحد في المكان ليستمع الى هذا الخرف.

فخاف فاندوسكي وهمَّ بالهروب، وعندما بلغ وسط القرية وبعض الجيران يتبعونه، إنهم ولأول مرة يرى فيهم هذا العمل البطولي الذي غاب في زمانه والذي ما كان لأحد أن يحرك إصبعاً دون أن يتقاضى مالا لأجله.

وقع فاندوسكي من الثعب، حينها وقف عليه رجل مفقود العضلات ذو لباس لبق وزيّ أزرق دوالقامة الطويلة والبشرة البيضاء المنقحة بالإصفرار، حيث يقول بمنتهى الجراءة، مبيناً عل أنه شرطي القرية:

سيدي أنت مقبوض عليك، بتهمة السرقة، المرجو إلتزام الصمت !

إنصدم فاندوسكي لقوله وعجزت كلماته عن الخروج بل عن التعبير عما كان سيقوله، وقد أخده الى مركز الشرطة، واضعا إياه داخل زنزانة كبيرة يسكنها أحد أوغاد الدين يظهر عليهم ملامح إجرام، وبسالة الوجود نفسه.

فقال فاندوسكي: منذ متى القرية فيها مركز شرطة؟ وأين أغلب قاطنيها؟ والمهم هل يوجد داك الكائن الشرس الذي قتل ماعزي دعسول!

فجأة يُنْسَبُ صَاحِبُنَا، لْفَانْدُوسْكَي مُخْبِرًا إِيَّاهُ بِوُجُودِهِ مَعَهُ فِي الزنزانة، وفاندوسكي يرتجف من الخوف، وعينه تكادان تمطرانه دموعاً لظلم الذي إلتصق بسمعته الطيبة، فأكثر ما يحطم طيبة المرء أن يستشعر الظلم يتسلل فوق جبينه، لينقلب من الطيب الى الوقح، والسبب نزلة ظلم كاذبة لُفِّقَتْ للمسكين"، خطف فاندوسكي نظرة وإلتفت ليرى صاحبه في الزنزانة، فإذا به يرى شخصاً نائماً مغطى بقماش أسود، ويبدو طويل القامة لما له من إتساع فوق طاوله، وفي كل مرة يَنْفُثُ كلمة، فلا هو مستيقظ ولا هو نائم، إن أمثال هذا الطيب دائماً يسجنون لأنهم يعطون ألف نصيحة ولا يأخذون ولا واحدة منها.

فقال فاندوسكي والخوف يحاول إرباكه :

أيها الأخ، هل تحدثت معي؟

فصاح أحدهم من الزنزانة المجاورة يقول:

لا توقظ الذب من غفوته، فأنت تعرف ما مصير من يقاطع غفوة ذب وهو في سباته الشتوي، فضحك كل سجناء !

وفاندوسكي مصاب بنزلة خوف قاتل، فقد كان يسمع من آخرون أن السجناء هم أشخاص سيئون يكون عقابهم السجن لتصرف بشع يقومونه كالقتل والسرقة..

فإن تكون سجيناً، هو أن تُنْعَثَ بأسوء الصفات القبيحة، فحتى المجتمع يساعد على نعتهم بهاته الألقاب، فإن تعيش في مجتمع تسوده الغوغاء والقيم المنفعية، وأخلاق رأسمالية، قد يكون عليك أن تسايرهم في وجودهم وأن تلبس

أخلاقهم وقيمهم ،فكثير من المجتمعات تنظر الى السجناء ليسو كبشر بل كحيوانات ينبغي إقصاءهم إجتماعياً،بل تتساقط كل قيمة في كل نظرة إليهم ، كم من نظرة مغلوبة نبدلها فقط لنفنع أنفسنا أننا جيدون بل مثاليون للغاية،حتى ان لمرء لا يركض سوى على القيمة ،بل نظرة الاخرين إليه .

فقال السجين لقاندوسكي:

لا أظنك مجرمٌ،فما جريمتك ؟فلمحك يحاكي الطيبة،ولا قدرة لك أن تكون ممن أعرفهم.

فأجابه قاندوسكي :

لقد أتهمت بسرقة منزل، وما المنزل سوى لجدي.

قام السجين من مرقضه يحاكي قاندوسكي ويقول:

كلنا بريئون يا عزيزي،وأكبر جريمة قد ارتكبتها أحدنا هي قول الحقيقة.

فهل سمعت مرة في حياتك ب كالقطن ميركورفيتش ؟

فأجابه قاندوسكي : لا لم أسمع به؟

فقال السجين :إنه صحفيٌّ مشهور،إعتاد مهاجمة الفاسدين ولكنه كان طائشاً،يؤمن بقوة الحقيقة،بل كاد يجهل أن لا أحد يزعم على مساعدته في حربه،ولكنه إنتهى به المطاف في إحدى الزنانات البائسة،ملفقا له آلاف الجرائم والتي لم يكن له فيها يد وأنا ابن عمه سيلزارميركورفيتش وقد قلت جملة وسط الجمع (ابن عمي على حق)وها هيا ذا تتسبب في سجنى،إن بعض الأوغاد يجعلون من القمر خائناً ليلتمسو الجلوس مع النجوم يا صديقي !فوقف قاندوسكي أمامه ينظر الى ملامحه المبتورة،عيناه كبيرتان وشعره أشقر مثير للسخرية وطولته الرائعة حتى عيناه تبدوان سوداويتين يرعب بهما الكل،فقال قاندوسكي :

أتعلم أنني لم أنجو من كل خيبات أمل لأقع مسموما إثر هذا الذنب الذي لم ارتكبه،فقد خانتني حبيبتى التي كدت أتزوجها و صديقتى التي بدت تحب الشهرة

ما فوق الأجساد و حتى أبناء قريتي يسخرون من رسمي و العالم أيضا لم يقدر ما أحمله له من فن. لا يهم مادما أحياء، فلإمكاننا تغيير المستحيل ولو بقبسة عين.

فقال السجين :

قد أخرج ببراءة، ولكني لن أبرء من وسمّة العار تلك .

فأن تسجن لا يعني أن تسحب منك حريتك، بل قيمتك نفسها، لتصبح منبوذا بين الناس، وكل النظرات تسوء حتى وإن كنت أطيب خلق الله.

اوه قلت أنك ترسم، فهل يمكنك أن ترسمني على هذا الحائط ولا تهتم للأدوات هاك بعض طبشور يمكنك به رسمي، فأخذ فاندوسكي الطبشور وراح يرسم بكل حرية، لقد حُرِّرَ شغفه في السجن، وعندما إنتهى وضع السجين كفيه على خده وقال :يا لروعة رسمة خلابة و ساحرة كيف لعالم أن يكون جميلا دون الفن، حيث وقف حراس السجن منبهرون أمام رسمته العظيمة، حيث إستدعاه رئيس القسم ليسرد عليه قصته و سبب إعتقاله؛ وقبل ذلك قال السجين:

إنني ما رأيت أجمل من هذا الرسم في حياتي، وبعين الخبير و أدن موسيقية أخبرك أنه لن يكون من السهل أن تنسى لوحاتك أو أن يصدأ صداها ولو لقرون ستخلد وسط المتحف و سأتبجح عند خروجي بمصاحبتك في زنرانتني أيها الفنان الطيب.

إبتسم فاندوسكي وقال:

هذا شرف لي.

وبعدما رأى حارس السجن ما رسمه فاندوسكي؛ بلغ أمر لرئيسه حيث أمره بإخلاء سبيله، ومن هنا بدأت قيمة فاندوسكي بالبناء تدريجيا ما إستنزفت من قبل من لا يصلحون للفن، فخرج فاندوسكي ببراءة و جاءت الصحافة لتنتقل الخبر، و بذلك زادت شهرته و إنتفخ ريشه و فخامة نفسيته المبدعة، فما كان له سوى أن يحتفظ بأي رسمة يرسمها، ولكن كل تلك الرسومات إما أنها بقيت في مكانه أو مزقها دوي الذوق المختلط بقوام ماديّ تُختطف من يد الى يد.

إشتهر فاندوسكي بلوحاته الوسيمة، ولم يكن لأي ذوق أن يرى ما تحمله من أسرار، فحتى فاندوسكي ومع أنه رسام، فإنه يجهل ما لرسمه من أسرار، وقد كان رسم فاندوسكي أخير وهو داخل الزنزانة، يحمل كياناً دو ملامح يصرخ من الألم، وهو يحاول إفلات من بين أيدي اللصوص، وبعد شهرين، سمع خبر موت السجين الذي صاحبه فاندوسكي بسبب سكتة قلبية قد أودت بالمسكين، ومن هنا سيدرك فاندوسكي أن كل لوحة يرسمها تمهد للمستقبل، بفضل الخاتم الذي أخذه من الجثة في جزيرة فوكايدوا، فابتسم فاندوسكي بكل خبت وهو متعطش للانتقام من الأشخاص الذين أدؤه، فقال :

إن طبيعة إنسان ماهي إلا طبيعة ماهرة، تتسوء كلما حاول إنسان إنسحاب منها، والطيبة إحدى أبسل هاته المحاولات الفاشلة.

وللأمانة لم يبح فاندوسكي بسر من يكون فوكايدوا هل هي جزيرة أم قاتل مريض نفسياً يسكنها يسمى نفسه عليها.

وحمل حاجياته وخرج من بين الحشد متفاخراً، بما هو عليه، فأرسل إليه الكثير من الشركات طلب شرائهم للوحاته، ومساهمته في الثرات العام للمدينة، وخصوصاً أثرياء البلد توجهوا إليه ليشتروها بأثمان عالية، ليصلقوها في قصورهم الباكية التي تحاكي جفاف الصحراء وقرق الذوق الجمال في بناءها ونقوشها التقليدية، وهذا ما دفع فاندوسكي لينتقل من مجرد منشرد الى أشهر الفنانين تفانيا في إدخار أموال، وإدخار الجنون حتى، لقد شعر فاندوسكي بجنون العظمة تلك التي تنفتها فيه هتافات الجماهير الشابة التي تقصر الفن لمجرد أنه فن مسموع للعامة، ومن تم شيد لنفسه قصراً ولم يكن ككل القصور، لم يكن مصبوغاً بل هو لوحته الفنية نفسها، حيث قضى في رسمها سنتين فقط ليكون قصراً جذاباً يسحر زائريه، إن فراغ القيمة لشخص ما قد تولد الحقد بداخله وإن كان هذا الحقد من العيار الثقيل فيسكون أمر حماسياً ببعض إجابية الملققة، وخلال ثلاث سنوات داع صيت فاندوسكي في المدينة وحتى في قرى تلك الهوامش التي لا تتلقى الخبر إلا بعد سنين من دياعه، وقد إستسلمت سيرقاي للخبر، بعدما تركها حبيبها لأنه وجد حبيبة ثرية أجمل منها، وقد أصيبت سيرقاي بإحباط حتى كادت أن توضع في مستشفى أمراض العقلية، وهاهي دي تبتم لرؤيتها لفاندوسكي الشاب القاصر

في الجمال يقف على منصة ويتوج كأول فنان يشهده القرن، لقد تولدت من العدم رغبة متعطشة للعودة لزمان الذي تخلت فيه عنه، بل لم تجد سبيلا غير التحسر والندم وما أمر إلا إنسياب في تعطش الحاجة، فعندما يضيع إنسان فرصة كادت تسقيه وفضل فرصة السباحة، يدرك وبعد محاولة إغراق تلك أنه فعلا كان في حاجة لرجفة من الماء وليس لبحر هائج يمتص أماله الحقيمة. وحتى فيوزيل التي تزوجت بذلك الصحفي الوغد، قد أهدت تخونه مع صديقه السياسي ألفريد باكبير، وهذا ما جعله يطلقها، وقد قالت عندما شاهدت فاندوسكي يحمل مشعل الفنان أول للقرن على مسرح :

يا لهؤلاء الرجال كم هم أوغاد، دائما ما يستغلون طيبة الفتاة، وأخلاقها النبيلة ويشككون في تربيتها، وحتى هذا المغرور المدعو بقاندوسكي، لو أنه أعطاني تلك اللوحات لكنت أنا مكانه، ويا لبؤس هؤلاء الرجال! كل واحد أسوء من غيره. إن تحطيم القلب لا يقارن بوخزة إبرة، فقد يستعيد الجلد عافيته بعد الوخزة ولكن القلب لن يستطيع إسترجاع ثقته بعد أن يتحطم..

فالمرء دائما يستعد لتقديم المساعدة، في الأشياء التي تصلح له، تلك التي تروقه، وتدفعه ليبتسم لما سيكون له منها، ولكنه في أمور التي تتطلب الإهتمام وبدل المشاعر، وإستشعار حياة إنسان العاطفية، فإن المرء يتجاهله كبسقة في أرض، حتى وإن كانوا يفقهون فيه، فإنهم يبذلوا ما طيب لهم من مشاعر الحقد والكراهية ليخفوا أنانيتهم الزائدة. فهذا هو إنسان، مخلوق أناني ينتحب طويلا ليستشعره الآخرون وهو نفسه لا يهتم سوى لنفسه.

وفي يوم ما من نهاية أسبوع، عندما أنهى فاندوسكي رسم قصره الذي يوجد في المدينة وخصوصا في قلب حي يسمى حي الفقراء، ربما يخيفكم هذا إسم إلا أنه واجهة مأكرة لكل سارق على وجه أرض، فكل أثرياء يقطنون فيه، لما له من أرض عجيبة يتكاثر فيها الرزق ويقف فيها الوشائ، عرَض على فاندوسكي أن يمر في مقابلة في التلفاز، وذلك بدعوى أن الإعلام يسوق للوحاته، وأن الناس قد ملُّو من مشاهدة تلك المسلسلات التافهة التي تخضع الجو العام، ولهذا يقام بهاته المقابلات من أجل أن يحب ناس إعلام ويفتخرو بصديقته الملققة، وهذا ما حدث راح فاندوسكي للمقابلة وقد كانت هناك مديعة أخبار كان يحبها فاندوسكي في

صغره، حيث كان يتمنى مقابلتها بل حتى الزواج بها، رغم تفوقها عنه في السن، وهاهو اليوم يجري معها مقابلة صحفية وراء الكاميرات في أستوديو حديث العهد وفي أول سؤال لها بعد إستقبالها له :

إسمك فاندوسكي وما نسبك؟ إنحرج فاندوسكي وقال : لا أعلم !

خجلت المديعة وقالت : اسفة لم أقصد ! وحاولت التنحي عن طرح هذا السؤال المرحج فقالت:

فهل أنت متزوج ؟ وكيف أرزقت بهاته الموهبة؟

أجابها فاندوسكي قائلاً:

لست متزوجاً، وأكثر العلاقات التي مررت منها أيقنت أنها مجرد مدرجات من خلالها وجدت نفسي كما الآن !

وفي سؤالك الثاني، فالموهبة لا ترزق بل تكتسب وتبنى، فهل رأيت قط شخصاً يتحدث لغة الحيوانات لتكون له موهبة فطرية ؟

فقالت ممازحة : لا . لم أره، ولكن البعض قد أخبروني أن رسوماتك هي تجسيد للمستقبل ؛ فما قولك بخصوص ذلك؟

أجابها : ربما هم على حق، ولكنني لم أتحقق من أمر بعد، لكون كل أحداث التي رسمتها كانت قد تورطت في الزمن قبل رسمي إليها .

فسألته المديعة : سمعت أنك رسمت رسمة على جدران قصر ك لماذا؟

فقال مبتسماً وشيئاً من الغرور : لا يكف أن يكون الفنان بارعا في العزف او في الرقص بل ينبغي أن تراه في فنه كما يرى نفسه في المرأة.

ومن شدة أسئلة، وسخافتها حاول فاندوسكي إنفلات ولكن المديعة تشكل مصدر جذب له إنه معجب بها منذ الصغر، ولكنها في عمر والدته لدى يتوقف أمر على مجرد إعجاب، وقد إنتهى العرض .. ومن تم وفاندوسكي لم تهدأ هواتفه عن الرن، فلا يحب فاندوسكي أن يجيب أحداً أو أن يسكت الهاتف في وجه

أحدهم، وهنا بدأ يتذكر حاله في القرية وما كان يعيشه في هدوء جميل ونسيم من العليل يطفو فوق جبينه ويلامس شفثيه...

"الحقيقة، أن كل أصدقاء الدين تفتخر بهم، وُجدو ليكملو بعضهم، بل ليستشعرو شعور العبودية ذاك، الأقوياء لا يملكون اصدقاء.

الفصل الثالث: روح إبداع والفضيلة

التاني من كانون عام ٢٠٠١

في روح الثلوج حيث إنقضى فصل الربيع، وما للربيع أن يرسو إلا على التلال القري، وقد توافدت مرات عديدة الرغبة في عقل فاندوسكي بزيارة السهول تلك القرية البائسة التي طرد منها، ولكنه يعجز كلما أتته هاته الرغبة فيطمرها تحت نوافر إبطه المكسو بالإنتمام من بئنها، وهاهو دا فاندوسكي يوقن ويحزم القرار في زيارتها مرة ثانية دون أن ينقلب هارباً أو مطروداً بنصف حيل، وقد أخذ سيارته الفخمة المسمات فيراري " لقد كان له أن يعود لمنزل جدته الذي سحب منه بالقوة، ليرى ما إذا كانت جدته على قيد الحياة، إنه مشتاق إليها لدرجة لا يريد تخيلها ليرسم ملامحها فينصعق بشيء تتنبأ به رسمته تلك، فيترك مصيره للتاريخ الذي به يؤمن منذ الأزل، فأسوء ما يرسمه يحدث فعلاً وهذا ما أخافه بل جعله يتخوف من موته، وأن يقتله أحد بسبب تلك اللوحات، وهاهي دي سيارته الفخمة تكتسح جو القرية الكئيب، المليء بالفقر، وكل أنظار موجهة نحوها، بنفس الحسد والخبث الذي يكسو كل مشهد دخيل لتلك القرية، فلا أحد يشكر السائق أكثر من صاحب السيارة، كل من شاهدها لعنها بشيء من القبح، إن إنسان عندما يعجز من الحصول على شيء، يُنقَبُ بكل وسائل على ما يفسده به.

وصل فاندوسكي لمنزل جدته، والشهرة تخفيه من أول شعرة في رأسه، الى آخر إصبع في قدميه، حتى أن أهل القرية قد إعتادو سماع كل أخبار متأخرين، ولكن هذه المرة قد سبقو الخبر بأشواط، حتى أنهم أقامو إحتفالاً لمجيئه، فعندما دخل

فاندوسكي القرية لِحَقَّ الأطفال الصغار بسيارته دات اللون أزرق، التي تمشي ببطئ، فيصرخ الكل أطفال قائلين " إنه فاندوسكي إنه فاندوسكي يا ناس.. إنه صاحب الدراع الواحدة.. فأخرج فاندو بأقوالهم القاسية..

وقفت سيارته وسط القرية، وهو يحاول أن يبدو شجاعاً أمام أهل القرية، فما أكثر ما يهرج المرء أن يعود لمكان أجبر على تركه. وقد اجتمع عليه الحشد والكل مصدوم، الناس يتهامسون " من هذا فاندوسكي ؟ لا أحد تذكر المنبوذ؟ ذلك الرسام الفقير الذي طُرد من القرية بفضل أهلها الذين كانوا يعتبرون رسم وكل موهبة "الفن" مجرد لعنة تزرع نظام القرية بل تقضي على أهلها كما يقولون.

فقال رجل من بين أهل " أهذا فاندوسكي الفنان الشهير؟

إبتسم فاندوسكي قائلاً: لربما هذا جيل آخر يقدر الفن، بدل الجيل السابق الذي كانوا يحتقرونه، أو أنه من الممكن أنهم إستعادو وعيهم في الحكم على أشياء!

فقال أحد الهواة العجائز: أوه أنت فاندوسكي، حفيد الجدة نيرمين، وأبوك هو ما رايلي فوستوليز وكاتي ماركيوفين، فتقدم فاندوسكي نحوه وكله غرابة، والجميع يمتطون سحابة الفضول حيث قال فاندوسكي: أين جدتي يا عم!

أجابه العجوز قائلاً: لقد توفيت بسكتة قلبية، بعد رحيلك بأسبوع، لم تستحمل بعدها عنك!

تفاجأ فاندوسكي قائلاً: يا للهول ! ماذا يا ليأسي ماذا حدثت مع جدتي الحبيبة! وركع يهدي من الحزن وهو يتحب لما جرى مع جدته ؛ وفجأة سمع صوت ناعم ورقيق يوشك على البهتان ينادي فاندوسكي ... عزيزي فاندوسكي..

فرفع فاندوسكي رأسه، فإذا به يجد جدته نيرمين، تنسل من وسط الحشد، حيث قال العجوز: كنت أمزح معك عزيزي فاندوسكي، هاهي جدتك على قيد الحياة.

فأسرع فاندوسكي معانقا جدته، والدموع تذرف من عينيه، والكل قد إنجرفت عواطفهم حتى كادت تسقي وديان بالدموعهم المالحة

فالشوق لمن نحب يزداد كلما كنا بعيدين عنه، فحينما نلتقيه يزداد شوقنا لمعاودة لقاءه بنفس اللحظة.

فقالت الجدة لحفيدها: أين كنت يا عزيزي، لقد إختفيت البارحة والكل خاف عليك، فلم نترك مكانا لم نبحث عنك فيك. مهلا أين يدك اليسرى؟ هل إنتزعها الوحش الذي قتل صديقك دعسول؟... فجاءه العجوز يغمزه بشيء من التشفير فيقول له في أدنه:

ان جدتك تعاني من مرض هايزمر، إنها تنسى كل شيء وتعود لتتذكر بعض أشياء، وقد تولدت حالتها من يوم مغادرتك القرية، حتى وإنها وقد تزوجت فلم يزددها أمر سوى تعاسة، فدهش فاندوسكي لما سمع وقال أين زوج جدتي؟

فقفز العجوز يقول: ألم أعجبك يا عزيزي؛ إنه أنا؟

إبتسم فاندوسكي وقال: جدتي العزيزة لن تتزوج إلا شخصا يقدر حسها الفكاهي ويشاركها في كل مسرحتها...

فنقط فاندوسكي على كتف جدته يعانقها بقوة ويقول: /إني أحبك يا جدتي، إنك ملاكي الذي ظللت أقاوم من أجله فلو ذهبت إلى مكان لما عدت إلى وطني ولصرت غريبا عن نفسي.. فيدي تركتها في الغابة لتستريح.

فجاء أهل القرية وقال أحدهم:

عزيزي فاندوسكي، نحن نتأسف على طردك، لقد كنا نجعل ما هو الفن، بل كنا نخاف أن يصيبنا بشيء من العدوى، فقط كنا نؤمن أن أطفالنا ينبغي أن يدرسو ليعملو ويأتون بالنقود، ولا نهتم لما لهم من موهبة مادام لا يأتي من وراءها أي مال، وهذا ما أجبرته في عقولنا الصغيرة يا بني! فاليوم وبعد أن إنقضت جل خرافنا أيقننا أن رسمك ليس السبب في موت ماعزك دعسول، وأنك بريء من التهمة، فمنذ ذهابك غزاني وحش لا نعلم عنه شيئا قتل جل أهل القرية ولم تبقى ولو نعجة واحدة فيها، ونحن نجونا بأعجوبة منه، لدرجة ذهولنا بخلفته لم نستطع تحريك نفس إلا بعدما شعرنا أننا في خطر فلجأنا لبيوتنا كوكر يحمينا منه. ولا نعلم لماذا اليوم لم يحضر ككل مرة، فقد كان يجيء صباحاً يسرق ما يحب سرقة

ويذهب فلا نراه إلا في زمان ومكان محدد، والغريب أنه كان يأتي غاضبا في اليوم ١٨ من كانون الاول.

فإنصدم فاندوسكي قائلا : إنه يوم ميلادي!

ثم قال بسخرية: إن هاته القرية تجهل ما يجعله أبناء الكهوف داخل جحورهم فعندما يبصرون الشمس لأول مرة يصيبهم العمى، فيقولون لم نكن سوى في ظلال. وإن تمثلاث البوادي تتفوق بدرجة من الكسل المعقول في إستخدام عقلها من تمثلاث المدن، تلك التي تشهد نوعا من اليقضة الفكرية.

إبتسم العجوز وقال : اوه هذا يعني أننا لا نزال هواة، ونحن الآن نائمون، أم في أحلام اليقضة يا عزيزي فاندوسكي.

فقال فاندوسكي : لا يهم، المهم أن القرية قد تطورت منذ أن رحلت عنها.

فرد أحد العجائز : تطورت، لكنها تعيش تخوفاً بسبب داك الوحش القاتل فأرجوك يا بني خلصنا من شره ...فإن لم تكن رسمتك الضرر ستكون بالطبع العلاج.

فأخرج فاندوسكي، محاولا إفلات من هذا الطلب المريع.. فكيف لإنسان أن يوقف وحشاً؟

فإبستمت الجدة في وجهه فقال : لا تحاولي يا جذتي أعلم من وراء هاته البسة الخفيفة ما تودين قوله..

" فالكثير من الملامح تقضح صاحبها، حتى وإن حرك شعرة من بين ما لديه في رأسه.

فتركهم للمرة الثانية واقفين منهمكين في التساءل عن ما قد سيفعل، فأتجه نحو الغابة التي كان يعيش فيها، فقد إشتاق الأبله لروحه المرححة التي دفنها هناك ذات مرة. وقد أيقن أنه سيجده هناك، مادام داك الوحش لن يعيش إلا حيث تعيش كل الوحوش.

فلا بد من أن توجد الجرذان في المجاري والأرانب في الغابات، فلن تجد أرنب في المجاري ولا الجرذ في الغابة.

إن الشجاعة ليست إبنة السلالة، إنها اليتيم الذي تركه الجميع ليقاسي أوجاعه، فخرج من الغابة المضطربة بالتوحش منتصراً، منتصراً على وجعه وآلامه. وعندما بلغ فاندوسكي الغابة جلس ينتظر الوحش لكنه لم يكن فقط مرعب بل جله نفسه قد تشوَّك لوحده، وبدى الخوف ينازع نفسيته ذون وعي، فليس المهم أن نرى الخطر أمامنا لنخاف ونرتعب، بل أرواحنا نفسها تجيِّد الشعور بالخطر ولو عن بعد أميال.

وفجأة وفي عز إحتراسه، تزعزع العشب بجانب شجرة، فوقف فاندوسكي مرعوباً، يحاول بسكينه الصديء ورمحه الحافي الدفاع عن نفسه، لكنه أخطأ فقد كان مجرد سنجابٍ يلعب حبيبتة فقال فاندوسكي :

أيها السنجاب الأحمق لقد أرعبتني! ألسنت تخشى أن أسرق حبيبتك منك! إنك تخرجها بهذا المنظر الذي نراه اليوم في نباتنا، فكيف تود مني أن أتوقف عن التودد الى زوجتك... وقد ظل فاندوسكي يحدث السنجاب الذي حمل زوجته وصعد الى الشجرة تاركاً إياه يتكلم لوحده، وفجأة وقف عليه ظلٌ كبير يغطيه بالكامل، فإستدار فاندوسكي بخوف قاهر يتمتم، فتلك النظرة المرعبة التي توصل إليها جعلته يسقط أرضاً فلا يملك غير يد واحدة ليدافع عن نفسه، إنه حقاً مخلوق مرعب، إنه يشبه الذئب، لربما كائن مستذئب، واقفاً ولعابه يسيل كالنهر نيل، وعيناه تشبهان الكلب لكن بإحمرار أكثر كأنه سكير الذي لم ينم لشهر، فزمر لأول مرة في وجه فاندوسكي فسقط في الأرض يمسك أدناه الخيفتان، أمام داك المنظر البشع، لغم داك المخلوف، وفجأة رأى قلادة في عنقه، فقال: يا للهول إنها قلادة جدي! أهذا المخلوق هو جدي؟ لا لا أظن...

فتذكر شيئاً قد نسيه طويلاً تم قال : لا إنه كلبى سارلاك، الذي إختفى منذ أن كان عمري ١٤ سنة، أهذا أنت يا كلبى العزيز.. فكم إشتقت لك....

ثم وقف بمحاداته كأنه يحاول إخباره بمن يكون ولكن هذا الكلب اليوم لم يكن هو نفسه كلب البارحة، فتقدم نحوه بشيء من الحذر والكلب واقفٌ يسيطر بإحكام على

غريزة التوحش فيه،فما إن حاول فاندوسكي مد يده حتى مد اكلب رأسه محاولاً
قضم اليد الثانية فترجع فاندوسكي مرتعباً من فعله،فقد كان كلباً أميناً وفيماً لطيفاً
كدعسول تماماً،فما إن تراه فتحسبه نعجة بدل كلب .ولكنه تغير بالكامل،فقد صار
وحشاً،لربما بسبب تلك العظة في عنقه،لربما ألقوه فيه مرض الجهل فأفرط
التوحش في نفسيته...فترك فاندوسكي نفسه مرتعبة وقال :

إن الوفاء لا يحصد إلا الوفاء،فإن ضاع نلنا من أنفسنا،وإن ضعنا عدنا إليها
بفضله.

يظل الوفاء عالياً بالشجاعة فما إن يغزوها الجبن فيمطرنا السفهاء،بتنكراتهم
المقنعة.

فتذكر فاندوسكي حركة كان يفعلها مع كلبه الأليف،وهي نفسها سر نجاته منه،فإن
إكتمل التوحش في أعماق الكلب لينتهي بفاندوسكي بين أنيابه كأهله تماماً،فهز
فاندوسكي يده يتمنى نجاح خطته في النجاة،ووضعها في أرض وبدأ يدور حولها
مشكلاً دائرة فعندما رآه الكلب تخلص من جهالته،وصار يجري وراءه،وفي تلك
اللحظة إستعاد الصديق صديقه،فتخلص الكلب من توحشه لكنه ظلّ ضخماً يوتر
الجو بمنظره المرعب،فساقه فاندوسكي أمامه يلاعبه فيرمي له عصا تم
يحضرها له الى وقتٍ خرج له ذئبين شرسين جائعين،يحاولان أكل
فاندوسكي،لكن الكلب هاجمهما بقوة فعض أحدهما وهرب الآخر..
فقد تصادق الحيوانات،ولا تصادق البشر.

وها هما ذا يدخلان القرية معا لأول مرة بعدما خرجا منها كل لوحده،فما إن رآوه
أهل القرية حتى أسرعوا للإختباء في جحورهم كالقنار،فصاحت جدة
فاندوسكي : ألم يأكلك داك الوحش يا بني؟

رد فاندوسكي بسخرية : لو أكلني لما وصلتك غير الرائحة.فتعالوا إنه ليس غريباً
عنك

فتقدم أهل القرية بمهملاً وحذر شديد،خوفاً مما قد يُدنيه الوحش..

فقال فاندوسكي: ألم تعرفيه يا جدة؟ إنه كلبنا العزيز سارلاك!

ردت الجذة: أفعلا هو كلبنا سارلاك؟..

فأسرع الكلب إليها بلعق حذاءها، فأيقنت أنه هو نفسه سارلاك؟..

فأحضر أحدهم قطعة من اللحم قد وجدها الباقية في فناءه، ورمها الى الكلب..

فقال قاندوسكي: ما هذا الخير كله يا عم فقد كنتُ أظنك أنانياً لا يحب الخير لجيرانه، فما الذي تبدل الآن؟

وفي تلك اللحظة أسرع الكلب بسرعة جنونية يقفز على العم الذي أحضر له الطعام، محاولاً أكله، ولكن قاندوسكي أمسكه من رقبتة محاولاً إبعاده عنه..

فقال العم : ليس خيراً بل عقاب، أنا من أخذ منك سارلاك ورميته في الغابة وقد نثرت حوله دواءً يجذب كل الحيوانات، فقط ليقتل، فلقد كان نباحه صاحباً يعيق نومي..

فأسرع قاندوسكي إليه ماسكاً إياه من عنقه وقال:

وراء كل فعل من الخير، آلاف الأفعال السيئة، فلم يمشي ظني بعيداً، وأنا الذي ظننت أن كلبني قد مات، ولكنك أنت إنسان الحقير الذي أبعده عني...

فالإنسان ليس ودوداً فحسب، بل أيضاً أكثر الكائنات غيرة وحسداً.

فصفح عنه قاندوسكي (عم)، وأخذ الكلب الى إسطنبول الفارغ من أغنام ثم عاد الى جدته وكل أهل القرية فرحون بنجاتهم من الوحش..

فكم هو رائع أن نبذل ما يفرح الآخرين دون أن ننتظر مقابلاً منهم.

بعذني أخذت الجدة قاندوسكي الى منزلها، وقدمت له الطعام والكل مفتخر بوجود قاندوسكي داخل القرية حتى أولئك الحسناوات اللواتي كانوا يحترقون خلقته ويرفضنه لزواج. قد أصبحن يرغبنه ويلتمسن العذر لملاقاته، إلا أن قاندوسكي ممتنع عن الزواج بإحداهن! عندما بدأ النهار بإنقضاء وأسترت تلود بالنزول، حمل قاندوسكي نفسه وخرج من القرية عائداً الى قصره برفقة جدته وزوجها الفكاهي العجوز. وقبل أن يخرج ترك لهم رسمة قد رسمها قبل مغادرته، إنها رسمة عميقة كباقي لوحاته ولكن الجديد فيها أن القرية سيغزوها قطاع الطرق ليقتلو كل أهلها

وينهبو ثرواتها، إلا أن أهل القرية لم يفهمو لوحة جيداً حيث أنهم ظنوا أنها مجرد لوحة كباقي فنانيين الهواة، ولكنه عندما حمل جدته نحو المدينة فهمت الجدة أن هناك خطر قادم، وبعد شهرين حدث المجزرة وقد عرضت لوحة فاندوسكي للبيع مع كل المسروقات في معارض عالمية، بل إن قطاع الطرق قد فهموا ما عجزت عقول أهل القرية عن فهمه في تلك اللوحة؛ وهذا ما جعلهم يبيعونها مع مسروقاتهم، لقد راحت سبعون روحاً حطاماً لقلّة ثقتهم وآخرون ليؤسّ حالتهم، وعندما سمعت الجدة ما حصل إزدادت حالتها سوءاً فقالت:

فاندوسكي هل كنت تعلم ماذا سيحصل في قريتنا ولذلك أبعدتني من هناك فأجابني: نعم، إن كل رسمة أرسما تحاول تطبيق المستقبل، بفضل خاتم دو لعنة مسروقة!

ومن تم أعادت الأخبار إستضافة فاندوسكي، محاولة إستنطاقه، وقد اعترف فاندوسكي بما يخفيه عن الخاتم واللعنة، بل أغلب من شاهدو القصة اصابهم الدعر، فقال فاندوسكي:

كنت شاباً متشرداً بل محبط بقدر من التشرد المزعج، وكانت في يدي فرشتان رتان حاولت أن أرسماً شيئاً، فضحك الجميع وسخروا من كل خربشاتي، كانت عادية، بل كانت تشهد على الواقع، كنت بفضلها أستشرف المستقبل ولكن الآن أصبحت أنا المستقبل، لم يعد لرسمي التنبؤ بالمستقبل بل هو من يرسم المستقبل، إن هذا الخاتم الذي وجدته في يد جثة في جزيرة فوكايدو أسطورية هو ما يجعل كل رسوماتي تتحقق على الواقع. ولحد الآن لم أرسماً إلا ما يمليه عليه البشر، وها أنذا سأرسم من خيالي ومخيلتي العجيبة.

وعاد فاندوسكي نحو قصره حزينا، تستهويه رغبة متعطشة للرسم، ولكنه يمتنع عن رسم ما يفسد ذوقه في هذا الوجود، فكل رسمة يرسمها لا تزيد البأس إلا بأساً، وقد إنقلبت شخصية فاندوسكي من شخص عاديّ يرسم ليقنع شخصيته المبدعة، ويحرر قواه الداخلية الى رسام جبار يرسم ما يخطئ أسرار المستقبل بين يديه، وكل من سخروا منه لخربشته عادوا حائنين رؤوسهم يطلبون إليه أن يعفو عنهم، وقد كان لفاندوسكي هدف واحد يصرخ في عقله وهو إنتقام، فأهل القرية قد

هلكو قبلاً، وهو دا قد جاء دور فيوزيل الخائنة، وقد حاول فاندوسكي تذكر ملامحها ولكنه يستصعب أمر، وفي أخير رسمها تركع أمام قدميه وفجأة إنساب السحر من أجواء، جاعلا إياها أمام فاندوسكي تنتحب أمامه دون أن تعي ما قد أجبرت على فعله، وما فاجأ فاندوسكي سرعة تحقق تلك الرسمة التي كانت تأخذ وقتاً. وعندما إستوعبت فيوزيل ما يحصل، وقفت ودهشة مرتفعة على حواجبها، وهي توجه نظرها الى فاندوسكي قائلة:

ماذا فعلت بي يا أيها الغبي؟

فقال مع ضحكة شريرة: كُنْتُ تنتحبن أمامي حتى كدت أشفق على حالك أيتها الخائنة! إنكِ تستحقين كل ما يحدث لك، فأمثالك لا يصلحون لزواج بل لييقين عازبات الى الأبد. دون أن يلتفت اليهن أحد.

فقالت فيوزيل:

أنت شخص مريض، واي فتاة لن تحب شخصاً بشعاً مثلك! فنحن الفتيات رغم ما ندعيه في حبنا للأخلاق.. فأكثر ما يرضينا أن يكون الرجل وسيماً، حتى وإن كانت أخلاقه قبيحة... هذا درس خده في أدنيك!

إن المتعطشين للحب هم أول من يعاني فور إنتهاء العلاقة.

و غادرت قصره عائدة الى منزلها، دون أن يفهم من قولها شيئاً. فعندما رأى حالتها، المثيرة للإشمزاز، مختلط ببعض الكآبة الحزينة، قليل من مقطوعة أزار البائسة لنسمع لغط الجماهير تنوح في مأساة الحياة لاعنين حياتهم ومن عليها.

وها قد عفى عنها فاندوسكي قائلاً: لا يستوي الغضب مع الشفقة، فالقلب واحد والعقل واحد.

وقال في نفسه: ما على إنسان أن يفعله، عنذما لا يتخذ في هذا الكون صديقاً، فليصادق ما يجده جامداً، فالمتحرك دائماً يتغير بتغير الفصول، والعلاقات تتطلب الجمود والثبات لا الحراك والتغير.

فالجميل في هاته أرواح المشعلة أنها لا تسقط نهائيا، بل تقف عند كل سقطة لتخبرنا أنها جذيرة بمواصلة السير. وهذا هو فاندوسكي رسام بيد واحدة.

وقف فاندوسكي ممهدا لرسمته القادمة التي ستكون بعنوان سيرفاي! وهاهي دي فرشاته تحاكي ظهر الورقة في مهل يكسو غرابة المشهد، وإدا به يُفجأ بالمنظر فراغ اللوحة بعد رسمها! وهذا يفسر شيئاً واحدا لا غير موت الشخص الذي حاول فاندوسكي رسمه. وبعدما شهد فاندوسكي فشلا في رسمته تركها مخلوعة وراح يشاهد أخبار، فإدا به خبر عاجل يصدمه للمرة الثانية، لقيت فتاة تدس علم الأثار مصرعا أثناء نزهة مع حبيبها على سفح شاهق، حيث سقطا ميتين دون نفس. وقد إنتبه فاندوسكي لسبب عدم إرتسام شيء فوق لوحاته، وهنا خيمة غيمة من البؤس فوق قلبه وقال:

رغم إدائهم لي، فلا أتمنى لهم أدى ولو نبشة على قلوبهم!

ومن تم همَّ فاندوسكي بمساعدة الآخرين من خلال رسامته، فباع بضع لوحاته وأعطى المال للينامي والأرامل، وفجأة صاحت رغبة في عقله ليستجوب الزمن في حادث سير الذي توفي فيه والديه، وأخذ يسأل جدته عن مكان وزمن وقوع الحادث وكيفية وقوعه ليحاول فاندوسكي رسمه! وعندما حاول رسم الحادث، إرتسم في اللوحة شارع يحتشد فيه الناس، لأنهم رأوا فهذا يغازل غزالا، وليس حادثاً كما يظهر في مخيلة جدته وهذا ما أثار شكوك فاندوسكي فقد

أخذ صورة أبواه محاولا رسمهما، ولكنه يفشل، بل لا يستطيع رسم ملامحهما، بعجز عن حمل فرشاته، لآلا ينصعق بمصير أبويه، ولكنه في لحظة من القلق يحزم القرار ليرسمهما، وفي أخير إرتسمت قرية في لوحته كأنها توحى أنهما يتواجدان هناك، وما يثير القلق أن كل رسومه تنتبأ بالمستقبل بل من خلالها يستطيع إحضار المرء من عمق أرض، فكيف لم يجبرهما على المجيء بقدر ما، جعله يعرف مكانهما. وعندما أخبر جدته صاحت في وجهه. مل فاندوسكي نفسه، وجدته ممتظيا الرحلة نحو مكان عيش أبويه، أو بأحرى مكان حيث تدل الرسمة! فكم بحث وراح ينقب عن ذلك المكان، كأنه قد إختفى من هذا العالم، وقد قال في نفسه:

لا أحد يمكنه ان يساعدي أكثر من عالم آثار، يمكنه أن يستوعب كل أماكن ويرى كل أماكن !

فتذكر سيرقاي، فذمعت عيناه وقال :أتمنى لو بقيت على قيد الحياة !الساعدتني على مهمتي هاته!

وقد عاد مع جدته بعد ستة أيام الى قصره والشعب بادٍ عليهما، ومن تم أيقن أن جدته لا تصلح لسفر بعدئذ، لدى سيسافر لوحده في المرة القادمة، وقال في نفسه لما لا أنشرها إعلاميا، لأرى هل يوجد من يعرفها وأين يوجد صداها، وهذا ما فعل، في يوم تالي نشر رسمته في جريدة وطنية، وكتب تحتها رقمه الخاص، ليتصل به من يعرف مكان تواجد تلك القرية! ولشهرة فاندوسكي لم تتوقف إتصالات بل هاتفه أصبح مجنونا يرنُّ ليلا نهاراً، وفي كل إتصال لا يجد مُرادَه، وكثير من يشكره ويبارك له وقليل من يشتمه ويحاول إيقاع به، حتى فقد أمل من إتصال الذي ينتظره "فكم من المؤلم أن تنتظر قطار ليمر، فيمر وأنت عاجزٌ عن ركوبه، لأنك لا تمتلك تذكرة". وفجأة وفي الثالثة صباحا وفاندوسكي يصرخ من الشخير، مستغرقا في نومه، ثم يسمع رنةً هاتفه البشعة... فلا يجيب

يظنه أحد المعجبين به، وهو ادا متصل يرن تانية... وتالتة وفي أخير وبعد كل ما أثاره الهاتف من ضجيج رد فاندوسكي قائلا:

ألوووو من معي! إن كنت معجبا فالليل إنقضى على المعجبين ؟

فتدقق صوت رقيق من السماعه الهاتف يقول:

أهذا سيد فاندوسكي ! رأيت إعلانك في الصحيفة اليوم وقد اتصلت بخصوص هذا موضوع"

إتهج فاندوسكي وقال "اوه انها فتاة" :حسنا متى نلتقي ؟غدا أتصل بك ؟حسنا!

ردت بكل هدنة :حسنا سيدي، غدا إنشاءالله!

وعندها أنهى مكالمه. أطفأ هاتفه ونام !

في صباح اليوم التالي كالعادة نهض فاندوسكي وقد زاد تشوقه لرؤية أبويه، وهو ينتظر المتصل ليلتقي به، وقد إنتظر ساعتين ليرن الهاتف، ولكن بدون فائدة، وعندما يأس وأراد الذهاب، رن الهاتف فإذا بها المرأة تقترح عليه مكان اللقاء، ولا يزال أمر مشوشاً، فمن خلال هاتف فهم أنها المرأة ولكن عمرها مجهول، وقد صور فاندوسكي ملابسه لتتعرف عليه المرأة. وحمل نفسه وخرج دون أن يفطر. وفي طريقه وسط المدينة حيث أرشدته نحو حديقة هناك حيث يجلس البعض من الناس مابين الشيوخ وأطفال والمراهقين، فمر بسيارته بجانبهم مبطناً، فلاحظ فتاةً جميلة تلوح بيدها إليه، فوقف مستعجلاً فقالت له:

هل تريد المتعة يا عزيزي أنا متفرغة اليوم !

فغضب فاندوسكي وقال:

أنا لست هنا لأجل هاته التفاهة؛ وقد شغل محرك السيارة وكاد أن يغادر فأسرع:-
لا تقلق يا عزيزي! لقد اجتزت إختبار، ويحق لك أن تزور جزيرة أسطورية تلك التي ترغب فيها!

فقال فاندوسكي: هل هذا إختبار لي؟ وهل أنتِ المتصل؟

أجابته الفتاة: نعم إنها أنا، ونعم إنه إختبار لا يعلم به سوى القلة وقليل من نجو وحالفهم الحظ في زيارتها.

فقال فاندوسكي: هيا إركب، ولنذهب الآن إليها !

فركبت الفتاة وهي تسأل فاندوسكي عنها، وعن رغبته في زيارتها، وتحدره من الجو الذي يطبع تلد القرية !

فقالت الفتاة: إسمي ليقرتي سايكلهوم وأنا إبنت تلك القرية، وقد هجرتها منذ عشرين سنة، عنذ ما كان عمري 5 سنوات، بفضل والدي الذي يعمل في البنك المدينة، وماكان لنا سوى أن نقطن في المدينة لنبقى تحت عينه أنا ووالدتي. ومن ثم بدأنا نسمع خرافات تشوب تلك القرية، بل قالو أنها ما عادت تصلح للسكن، لأنها مسكونة من قبل أشباح !

فقال قاندوسكي ما إسم تلك القرية؟

فأجابته الفتاة:

إسمها قرية فوكايدو حيت توجد في جزيرة لايشي لاند،وقد اطلق عليها أنها أسطورية بفضل ما تحتويه من أحداث مأساوية راحت أرواح ضحية مهزلتها،فإنته قاندوسكي لإسم القرية حيت تذكر أنها تشابه قرية التي ذهب اليها مع صديقتيه الخائنتان،بل ظن أنها هي نفسها القرية اسطورية،وكلما زادت كلمات الفتاة عن تلك القرية زاد شوق قاندوسكي لها ولرؤيتها !

فقال الفتاة :هل ذهبت اليها مرة في حياتك ! أظنك فعلت لدى تفاجأه بإسمها !

فأجابها :بالفعل زرتها ولم تعجبني.

فقال الفتاة: أراك في صور الصحف،تبدي تعاسة مفرطة،لا تصاحب أحداً ولا تتخذ من أي فتاة حبيبة لك،وسط هذا العالم الذي يعج بالعلاقات الغرامية ! ما سرك أيها الوغد؟

فقال قاندوسكي منازا الى كرسيه وهو يقول:

لا يكفي أن تكون الصداقة وعلاقات بالمجمل مجرد صور على حائطنا الوجودي.فلا توجد علاقة إلا وخضعت لمقاييس المادة؛لدى لا توجد علاقات جادة هناك فقط الهزلية منها كالحب و الصداقة....الخ

فضحكت الفتاة وقالت:

ربما خانتك حبيبته.فأكسبت العالم الذوق القبيح،من مجرد علاقة فاشلة !

ليس السيء أن يخونك المرء،ولكن الأسوء أن يخونك وأنت وفي كامل ثقته به.

إبتسم قاندوسكي قائلاً :لا،فالأمر لم يكن إلا خطأ في تعيين ! وكل من خانني فأنا من سمحت له بتلك الخيانة !

فالإنسان دائماً ما يعطيك صفاتاً نبيلة ومثالية لا توجد في شخصيته لتبتهج به وتعطيه قيمة في حياتك، وعندما تبصره من بعيد تراه بفساده الوجودي، بل تراه بصفاته الخاصة تلك التي يحاول بكل جهده إخفاءها..

فقالت الفتاة: الحق معك! فالبشر دائماً يلبسون أفتحة الجمال والذوق السليم فقط ليظهروا على أنهم أفضل مثال للإنسانية، وأقصى ما وصل إليه إنسان في الروعة. فالإنسان يموت بالخيبات، والوحش يولد من أنقاضها"

فحركت الفتاة يدها اليمنى وإذا بفاندوسكي يلمح وشمًا على يدها، إنه خنجر العجوز، الذي يبرهن على أنها الفتاة المقصودة، إنها نصفه الآخر، ولكنه متردد في إنتقاء، إنه متخوف من هذا القرار الحاسم، فيا ترى يمكن أن تكون هاته الفتاة مثل الباقيات من بني جنسها، مادامت في نفس أعمارهم، ومن أبناء عصرها.

فقال في نفسه: لنرى أين والداي ومن تم أرى نفسي!

فسافر فاندوسكي على متن سيارته مع تلك الفتاة، قاصدين جزيرة مع بئر متعطش لرؤية والديه، وبعد ساعتين من السير وسط الغابات المضججة بالغموض، قالت الفتاة:

إنها هناك على بعد 3 كلمترات!

فَتَلَهَّفَ فاندوسكي يُسارع الرياح حتى كاد يخترق أشجار بطيشه ورغبته الملحة لرؤية والديه أصليين، وفجأة وجد عجوزاً يقف وسط الطريق معترضاً إياه، دو لباس ممزق ورث، إنه أشبه بذلك الكيان الذي وُجِدَ هو نفسه في جزيرة التي زارها قبلاً فاندوسكي، وقد دعسه بسيارته عندما كان مفرطاً في السرعة، فتوقف فرعاً ليرى هل هو على قيد الحياة، وعندما توقفت السيارة خرجت الفتاة لتري ماذا كان العجوز حياً أو ميتاً، ولكن فاندوسكي بقي في السيارة يتخوف من رؤية الموقف، ولكنه عزم على الخروج، وعندما خرج ليلقي نظرة لم يجد أحداً لا الرجل الذي دعسه ولا الفتاة التي كانت معه، وهنا ارتبك الرجل وبانت عليه معالم الرعب، وقد فاق إحساسه الفني دعامة فخره بالوجوده القيمي وإشتعلت فيه روح الرعب، فأسرع لإمتطاء سيارته راغبا في العودة من حيث أتى، إلا أنه قد إندش

من غياب معالم الرجوع بل إنسحب الطريق من نفسه، وتحول الشارع الى وسط غابة تشوبها الظلمات، قاتمة تزرع نبضات الخوف في القلوب المنهارة. فجلس في كرسي سيارة الخلفي متني رجليه مشدود اليدين من الخوف، مع ظلمة حالكة تساعد الوحوش على هضم هذه المأساة الشعورية، يحاول إسترجاع ذاكرته للخلف، محاولا تفسير ما يقع، فمرة يصفع نفسه ليستفيق من هذا

الكابوس، ولكن ذون جدوى، فكم مرة تناديننا رغبات بشعة بأننا وعلى الدوام نشارك في أسوء كوابيس، وكلها تسعى لإرعابنا، والواقع أننا نعيش الواقع بكوابيسه، فقط نحن نحاول تبريره بتكوبس فاشل لا معنى له.

فإبداع لا يولد إلا مع كوابيس واقعية، بل على أرضيتها المنسحقة، جاعلا منه طيفا ومنقذا ومخلصاً وقوراً من تلك الواقعية المفرطة..

نام قاندوسكي في الكرسي الخلفي لسيارته، قلقاً من الوضع البائس الذي هو فيه، فلا يهم حياة الفتاة ولا العجوز، المهم أن يبقى قاندوسكي على قيد الحياة"

إن الروح التي تقاوم عدمية الإنطفاء، لا يمكنها البثة أن تستغني عن شعلتها، دون أن تنتزع منها بالقوة، إنها طبيعة الجبرية لكل الكائنات الحية.

في صباح اليوم التالي، على زقزقة العصافير ونسيم الدافئ الذي يغطي الجو، أفاق بطلنا قاندوسكي بعد غفوة قضاها يحاول إصطياد النوم، وقد أفلح الصياد في وضع الشراك، بل حتى الغزالة وقعت فيه بكل براءة، تقول لقاندوسكي "مرحبا بصائدي كلي لك، وكلك لي. فقد فتح عينيه على أشعة الشمس، فقد وجد نفسه نائما على كرسي الخلفي لسيارة، وقال في مهل إيجابى " كل أمور ستنتيسر، سيكون أمر على ما يرام! فخرج من السيارة يستكشف الموقع والغابة، وكله أفكار مرعبة يتساءل من جهة عن إختفاء الفتاة؟ تم يقول : هل أنا هنا فعلا؟

لربما نفذت عقليته إبداعية الى أعماق الجنون، ولكن من الطبيعي أن يكون شخص ما في نفس ما هو فيه؛ وما يميز قاندوسكي شخصيته الشجاعة بل قدرته على إخضاع الخطر ومنازلته بقوة تتجاوز بسطاء الطبع، فأكثر المتشائمين إخلاصا لتشاؤهم، لا يقاومون ألم بل يساعدونه على إكمال مهمته والتحرر، إن هذا إنسان الذي أنجبته الحياة البائسة، لا يهيمه الآخرون مادام لاشيء يخضع لإهتمامه، بل لا

يوجد في هذه الحياة ما يجعله يخاف بل يدفعه ليتنازل على جرأته أمام أي موقف. فهناك من المتشائمين من ولدو ليكونو كذلك، مخلصين منذ الفطرة

لتنشأؤهم، وهناك من أتعبتهم الحياة ليلقبو أنفسهم بالمتشائمين، لمجرد أن وضعوا إجتماعيا منع كيانه من التحرر، إن أمثال هؤلاء المنحطين دائما يمثلون أدوار الضحايا المهزومين في كل مسرحية، وما عدى البكاء فكلهم ينحنون للوضع بكل شرف، بل تراهم متفاخرين لهذه اللعبة الطفولية، وما لتلك اللعبة أن تكون لو أنهم لم يرغبو في كونها، لدى المرء لا يرى في اللعبة إلا الخسارة والنجاح ولا يرون من صنعها ولماذا صنعها؟

وفجأة يسمع فاندوسكي موسيقى، بل أنغاما لم تطأ أذناه من قبل وقد توغل في عقله أنه إذا كانت هناك موسيقى، فهناك إنسان، وإن كان هذا الصخب فهناك حفلة، فواصل فاندوسكي إتباع أثر أصوات الى أن أوصلته أذناه المطربتين الى قرية قديمة، حيث سكانها يرقصون على ذلك الصخب المفجع الذي كاد يكون أشبه بعزاء جماعي، فأهل القرية ورغم رقصهم البشع، فلا هم ينتظرون حكما برانيا ولا نظرة من الآخرين ليستمرو في الحياة، ملابسهم الرثة وبشرتهم السمراء الجاتية على طول القرية، وقف فاندوسكي أمامهم يشاهد رقصهم وكلهم حيوية، يخالط النساء مع الرجال وحتى أطفال والشيوخ لم يسلمو من هذا النشاط الصبياني، فللحظة توقف الجميع عن الرقص موجهين نظراتهم الغريبة الى فاندوسكي، فكم من النظرات نحسبها وفقا لحُسابنا، بعيدا عن وضعها الحقيقي، فنقع مشتتي الصواب في أسوأ أخطاء وأحكام المفرطة.

يعيش المرء وهو ينتظر فارس أحلامه النبيل، وعندما يجذه يخونه ويرحل عنه، فيتركه واقفا عند الباب فيستقل القطار بذل الفرس.

وحتى فاندوسكي إنصدم من نفسه، وعجزت قدماه عن الحراك، فعندما توجه آلاف النظرات الى شخص واحد، تنطفئ جرأته، ليقل في نفسه " لمادا كل هاته النظرات، هل فيا ما هو خاطئ، أم منطري بشع ليلتم حولها كل هذا الكم ؟

فحاول فاندوسكي العدول عن مجيئه والعودة من حيث أتى، فإلتفت مراوفاً نظراتهم فإذا به يجد تلك الفتاة ترمقه بنظراتها ترتدي ملابساً رثة معترضة طريقه وهي تقول: هل أضعت طريقك، أم أن قدماك البسيطتين قادتكما الى هنا؟ فقال مبتهجاً: أنتِ الفتاة التي كانت بصحبتى البارحة! وقد إختفيتي في بطن الليل! فإبتسمت الفتاة وقالت: لربما يولد من بين الحشد من يقول أنني كنت أمتعه البارحة فوق السرير!

فصرخ الجميع مستهزئين بفاندوسكي؛ فقالت الفتاة وهي تهمس في أذني فاندوسكي: حاول تتبعي؛ ولن تندم!

فقالت بصوت عالٍ: لما جئت الى هنا؟

فأجابها: جئت لأبحث عن والدي!

فتهاشم الكل، يقولون " قال أبحث عن والدي، هل والدته أنت يا خُتيفة، فأجابت المرأة: لا يا عزيزتي، إني لا ألد سوى البنات!

فجاء من بين الحشد رجل قوي البنية يقول:

من أين جئت يا ولد، وهل فعلاً جئت تبحث عن والديك هنا؟

فأجابه فاندوسكي:

نعم يا عم، أنا من المدينة وأصلي من قرية صغيرة، وجئت أبحث عن والديّ قيل لي أنهما هنا!

فقال الرجل: لا يا عزيزي؛ أمك ليست هنا إبحث في مكان ما غير هذا!

فقالت الفتاة: لنعطه فرصة يا عمي!

فقال العم: حسناً، أولاً؛ لا يمكنك أن تعيش في هاته القرية بل أن يقبلك أهل القرية دون أن تجتاز لاوكي ستيك " وهي إختبارات يقيمها أهل القرية لزوار

لتأكد من نيتهم الصافية تجاهنا، فإن كنتَ ماضيا في بحثك لتجتاز هاته إختبارات بنجاح !

فقال قاندوسكي وشعلة من الحماسة تشتعل في داخله :حسنا أوافق !

فقال الفتاة بصوت رقيق :إنها إختبارات قاسية لا انصحك بها !

إبتسم قاندوسكي وقال متفخرا :لا تقلقي انا لها ههه.

فقال الرجل :لرجع أخر من القرية"

يا بيوران خد الفتى وجهزه لإختبار أول !

فذهب قاندوسكي وكله قلق في ما سيليه،وقد تبعته الفتاة الى مكان التجهيز،الى كوخ صغير من أكواخ القرية المطلي بالطين؛وهي تقول:

قاندوسكي،أتظن نفسك ستنجو من عقاب ألهة؟ إن ألهة هاته القرية مزاجيون يجيذون إفشال كل محاولة في النجاة!

فقال قاندوسكي :أليست هاته قرية،هي قرية فوكايدو أسطورية،أم أنها فوكايدو أصغورية لتلك الجزيرة التي زرتها من قبل!

فقال الفتاة :تلك الجزيرة إسمها فايكور خليفة على إسم قبيلة تحكمها منذ أزل ! وهاته القبيلة إسمها فوكايدوا نسبة لسلالة قد عاشت على عرض أجدادها؛نسبة لما يحملونه من ثمثلات،ومن عادات وتقاليد تخصصهم لوحدهم عن باقي البشر !

إبتسم قاندوسكي وقال :لنتذوق هذا الطعام الجديد،لربما يعجب جهازنا الهضمي وراح يتجهز للعرض..

كان للقرية تقاليد حاسمة؛محافظة يعاقب كل من يحاول إخلال بها؛وحتى من يزورها لإيعود منها؛فقد تطورت أوضاعها واستحدثت ثمثلات قومها وتخفت كل العقوبات لنصف تماما،فقد كان مصير الخائن فيها أن يلقي من أعلى الجرف،وحتى السارق يعدم بما سرقه،فإن سرق نقودا جعلوه يأكل النقود قطعاً

نقدية حتى يموت، وقد كانت نساءها أشد عدائية من رجالها، فلا يهمهم مظهرهن
أنثوي بقدر ما ينتبهن لما في عقولهن، قيمة الفكرية، فالعيش في تلك القرية لا

ينبني فقط على العيش مع الناس بل إحتفاظ بآراءهم تجاهك، هذه هي جزيرة
فوكايدو أسطورية، إن أهلها يوزنون بالقيمة إجتماعية، فمن الضروري أن تعيش
وخزانك مملوء، فإن نفذت تطرد الى خارج القرية أو تنفى نهائيا الى جزيرة
أخرى؛ فشرف القرية يزن قيمة إجتماعية لكل فرد فيها، وإن خسر أحد تلك القيمة
سخر منه الجميع؛ وراح محط هزل ومقالب للأخرين. فشرف القرى في طابعها
المحتشم وليس العراء الذي يكسو شوارع المدن.

وقف فاندوسكي ينتظر من الرجل أن يخبره بالتحدي الذي سيقوم به، وفجأة قال
أحد المارة :

تفضل ايها البطل فتحدي جاهز لك !

وواصل فاندوسكي السير نحو المجهول؛ فوقف على جسر مهترئ يربط بين
ضفتين، فإبستم وهو يظن أنه عليه إجتيازه بكل بساطة، فوقف الرجل بصفة الحكم
يقول :لديك أربعة مراحل وكل مرحلة إما أن تنجو منها أو أن تهلك بها !
فارتعب فاندوسكي لما سمع وقال :أنا مجرد رسام!

وقال الحكم :هذا الجسر المهترئ لا يحمل إلا القليل من اللحم، لدى يتحاول
تجاوزه وعينيك مغمضتين، تحمل فوق رأسك كتاب القرية السحري فإن أسقطه
خسرت وإن خسرت فستسكنك لغنة لاودشين فوكايدو أصلية. هيا إبدأ ..

فقال فاندوسكي :هيا بنا، فقلبي خلق للإثارة؛ والروح المشتعلة لا تنطفئ وتلك هي
الروح التي ينبغي أن تنجبها كل العصور التي تسعى الى التلال.

فحاول فاندوسكي السير على الجسر مفتوح عينين، فجاءه الدعر يلقي السلام، فقال
في نفسه" إن ما يخيف ليس إلا ما نراه" وأغمض عينيه ووضع له كتابا فوق
رأسه، وسار نحو الجسر بكل حذر، وفي كل خطوة يولد صوت يحاول إرباك
فاندوسكي، إنها أول الخدع التي ينجبها أهل القرية لإفشال الزائرين، ولكن هذا

الزائر هو ابن القرية أصلي ذاتها، وها هو ذا قاندوسكي يمشي خطوة خطوة نحو أمام، إنهم على وشك خلق المستحيل من كائن إعتاد النوم والرسم، وإذا بشخصين يصرخان : اووه ماذا يحدث هنا؟

فأجاب الحكم : إنه تحدي لقياس الشجاعة وما إذا كان في هذا الكائن ما يحترم بل ما يجعله إنساناً!

وقف قاندوسكي عندما سمع الصراخ وحاول فتح عينيه إلا أن الحكم أوقفه، ومن ثم إستمر في المشي فتحاول قدماه إفلات ليكاد يسقط في الوادي، غير أنه يستعيد توازنه بفضل الكتاب فوق رأسه، وهاقد أنهى مرحلة بنجاح حيث صفق الجميع لتجاوزه هذا إمتحان بصبر، فقال الحكم :

لقد فزت في مرحلتين حتى الآن ولا يزال هناك مرحلتين، فقال قاندوسكي : حتى الآن مررت من اختبار واحد ؟ فهل اجتزت اخر؟

فقال الحكم : عند أول لحظة وقفت فيها أمام سماعة الهاتف، من هناك إبتدأ إختبارك الحقيقي، وليس أي أحد يمكنه أن يرى هاته الجزيرة إنها جزيرة كل ماهو فاضل وسامي، فلو أنك قبلت بتلك الفتاة أن تمتعك وإنجرت وراء غريزتك لما كنت هنا، ولما كنت قادراً على رؤية هاته الجزيرة، إن هاته هي اللعنة الفاضلة، قد إعتادت السلالة السيرزينية أن تنفث على قربتها لعنة تكون متميزة عن العالم السفلي، وبها يستمر إنسان في العيش الى الأبد دون أن يموت، وأمر لا يتعلق بهاته السنفونيات العجيبة، ولكن أهل هاته القرية مسالمون لدرجة أنهم يتعاملون بالإشارات والرموز ولا داعي للكلام أبداً..

فقال قاندوسكي مندهشاً: أوه، كم تمنيت ان ازور مثل هاته القرية، فما مراحل تالية؟

إن المرحلة الثالثة، هي محاولة جمع عشرين حبة ليمون، من بين عشرين ألف تقاحة، فقال قاندوسكي في تعجب أوه : هذا سهل جدا.

فقال الحكم :

ينبغي أن تجدها في ست دقائق لا غير؛ لنرى نباهتك يا فتى!

فأحضرو له خمس سلاتٍ في خليطٍ من الليمون والتفاح وبيبين أن التفاح أكثر من الليمون ولا حظوظ لسحب الليمون أبداً. ولكن فاندوسكي متحمس، فلأول مرة يجبر ليمارس ما وجده بانسا طوال سنين، فإن خسر التحدي جلد خمسون جلدة بسوط سايلنوكس (إنه محارب القرية الوهمي)؛ وهاهو فاندوسكي يشرع في البحث بعينين مغمضتين، وهذا التحدي يجمع بين الذوق والشم والحدس !

وفي نهاية إختبار فاز التفاح على الليمون، وقد جمع فاندوسكي عشرة ليمونات وما تبقى سوى تفاحات، وكل تفاحة متعجبة في لباس ليمونة.

وفي آخر مرحلة لينال فاندوسكي شرف الضيافة، وأن يتوفر على خزان مملوء من القيمة وإحترام داخل العشيرة، لا بد له من منزلة دئب شرس يوجد في الجهة الغابرة من القرية، وهو آخر إختبار يقيس شجاعة المرء، وما يبذله المرء، ولكن فاندوسكي خاف من الدئب وقرر مغادرة القرية خوفاً من الدئب إلا أن العجوزان أوقفاه وشجعاها بقولهما:

يا بني لقد وصلت لنهاية؛ وتريد التخلي عنها بكل بساطة، ألم تسأل نفسك لماذا وصلت الى هنا؟ لهدف نبيل، ونعلم أنك قادر عليه!

فجاءت الفتاة وقالت:

أتق فيك يا فاندوسكي، أنت لها، خذ هذه مني، أنها قلادة تحميك من كل شر!

فلبس فاندوسكي قفازه؛ ماسكا خنجره السحري وعيناه مصوبتان نحو مخرج القرية، مستقيضا بكلمات الاعتزاز والفخر فقال الحكم مستهزئاً:

الطريق من هناك يا فاندوسكي؛ إنه في الجهة مقابلة!

إنفتحت فاندوسكي بكل مهل كمحاولة تصوير مشهد درامي يحاول فيه البطل النظر الى البطلة بشيء من القلق المفجع، لكن فاندوسكي عندما استدار لم يجد سوى الحكم وبعض الوشاة. فأخذ ما يحتاجه من مؤونة متوجها نحو حذفه، وهاهو ذا يجد نفسه واقفاً، ترتعش قدماه الهزيلتان أمام وكر ذئبه العزيزي، يصرخ من شدة الخوف: أخرج يا عربود الصياد فاندوسكي ينتظر يا عربودي

فقط صوت من داخل الوكر، إنه صوت الذئب يعوي، محاولاً إخافة قاندوسكي، ولكن بدون فقاندوسكي قد إختبأ في جدع الشجرة قبل ان يعوي ذلك الذئب الجبان، وللحظة هده الوضع وسمع قاندوسكي صوتاً بشرياً يتحدث داخل الوكر، وهذا ما أثار إنتباهه، فحاول التطفل عليه مسترقاً النظر من وراء الصخور؛ فإذا به يجذب رجلاً عجوزاً مع فراء ينام عليه ويقول في جهاز ما " أووووه... أووووه. ..مقلداً صوت الذئب تماماً، وها قد تأكد قاندوسكي أن الذئب ما هو إلا رجل قد إعتاد مازحة أهله. ..فقال قاندوسكي موجهاً أنظاره الساحقة اليه: أنت الذئب الذي يربع أهل القرية بعواءه؟ فابتسم الرجل وقال:

لقد إعتدت إخافة الحمقى، بل أصبح إرعايهم من هوياتي الرائعة التي لا أنام سوى إن فعلتها؛ وقد شممت رائحتك الكريهة منذ أول لحظة وضعت قدميك أمام غاري يا هذا، فإياك ومعاودتها في وكر غير هذا، لأننا نحن الذئاب نكره من يسمم وكرنا بقدميه المملوءتين بالسموم.

فقال قاندوسكي شارداً في وجه الرجل:

منذ متى وأنت هنا؟

أجابته: منذ عشرين عاماً؟ واليوم بلغت الأربعين!

فقال قاندوسكي: لماذا؟ اليس لديك عائلة؟

فضحك الرجل وقال: أنا أروع مغنٍ قد تعرفه يوماً، فلست أفخر ولكنها الحقيقة، كنت أجول الحفلات أراقص العالم على روائي، بل على أنغامي السحرية وعندما كثر الفنانين، أصبح الفن مصطنعاً، فاقداً لمعناه، بعدما كان هوروح الفنان، فعندما تسمع مقطوعة موسيقية فإنك ترتعب لما تحمله من سحر، حتى أنك لتبدو تحرك قدميك دون أن تشعر، أصبح الكل فنانين، وغدى الفن مكسباً لرزق، عندما تطبع بلباس الجاريات وراح يرقص على أنغام الحمقى ليرمي له كل أر عن قرشين، ليسكت تعطشه وقناعته إبداعية، ومن تم طمر كل فنان عظيم تحت أقدام المرتزقة وبعضهم إنتقى الى بعيد وأخرون ماتو بل سجنو حتى الموت، فهل سمعت اليوم بموسيقار العظيم لاوسكي بايكوس؟

فأجابه قاندوسكي : نعم ، قليلا، سمعت أنه إنتحر في منزله أسبوع السابق.

فقال الرجل: إنه لم يمت، ولكن أصحاب النافذة السوداء من قدموه على أنه مقتول!
والحقيقة هاهو أمامك يحادثك يا هذا !

إبتهج قاندوسكي قائلا: أوه ، أنا أمام أروع وأصغر فنان موهوب، قد سحر العالم
بألحانه وحنجرته العظيمة!

ابتسم الرجل وقال: هكذا قالو! وبعد أسبوع غطو موهبتي بالنقوذ ونفوني الى هذه
الجزيرة، وهل تعلم ماذا يطلق عليها ؟

فأجابه قاندوسكي : يطلق عليها إسم فوكايدوا !

فقال الرجل : لا يا رجل، داك إسم فضفاض، مجرد لباس لإسمها الحقيقي، قد
وضعه البوارء ليخفو حقيقتها المضمرة، تلك الحقيقة العجيبة.

فقال قاندوسكي متسائلا: من هم هؤلاء البوارئ؟ وما العجيب في جزيرة كهده!

فأجابه الرجل: إنهم اول رجال الأرض، وأول من وطأ هذه الارض
بأرجلهم، فزرعو في قلبها ما أحضروه من ثراتهم ودماءهم، وحتى أنهم وضع
خنجراً صغيراً مصنوعاً من الذهب كأقدس ما يوجد على أرض، وقد تميز بأنه
خليط من الذماء الناذرة، ومن تم راحت أجيال تصدق أن هذا الخنجر به روح
تسكن القرية، وتحميها من كل خطر، وقد كان إسمها الحقيقة جزيرة الضيف
الضائع، نظرا لعدم إيجادهم للخنجر الذي خبأته قبيلة بوارئ أولى.

فقال قاندوسكي:

اوه هل هو خنجر صغير ومزخرف، فبلكاد أذكر أين رأيت مثله!

اوه نعم رأيت عند عجوز، قد إلتقيت به في جزيرة ما، وقد أعطاني خاتما يقال أنه
يحمل لعنة ما، وقبل ذلك طعن نفسه بذلك الخنجر فمات!

فقال الرجل: لربما داك هو الخنجر المقصود، ولكن ما يحيرني أنني أعلم أنه لا
يقتل أحداً، حتى وإن أغرقه أحد في قلبه لينهض دون اي جرح يذكر!

فقال الرجل: لا تفكر في الأمر فستجن إن بقيت فيه، فأنا قد طردت من قريتي بفضل فني، كنت أغني، لأحبي الناس، والناس لا يريدون من يوقضهم من غفوتهم وحتى أنهم وصفوا الفن أنه عار على كل جماعة، انه لعنة مزمنة يطعمها المجتمع لأرواحه .

فقال قاندوسكي : اوه حتى أنا طردت مثلك، ولكنني أرزقت بقصر بدل وكر، فقد كنت أرسم وماكنت اعرف غير رسم في حياتي، ولكن بفضل طردت من قريتي لكونهم متشبثون بتقاليدهم وأعرافهم البائسة، وهاقد تطورت أوضاع وقد أعادوا النظر في تقاليدهم، وقد أعجبهم رسماي ... عفوا عليّ العودة لأكمل التحدي، ولكن مادام لا يوجد ذنب أسأعتبر الفائز فيه !

فقال الرجل : ستعتبر خاسراً يا ولدي ، فلست أول من يقع في فخ هاته القرية الحقيرة، كنت أول غبيّ يبتهج للمنافسة وها أنت ترى ما أنا عليه، انتهى بي الأمر في وكر للذئاب .أنصحك أن تأخذ هذا الجلد معك، انه جلد ذئب قد مات من الجوع في اسبوع الماضي، خده وأتبت لهم أنك قتلت الذئب، ونصيحة أخيرة، لا

تصدق كل حدث تمارسه داخل تلك القرية، ستشعر في أخير كأنك زرت قلعة وهمية، وتحاربت مع آلاف الجنود الأقوياء والحقيقة أنك كنت تحارب اشجار طوال اليوم. خرج قاندوسكي من الوكر بشيء من إنزعاج، بل يتحسس كل خطوة يخطوها الى القرية، فيقول في نفسه " لأعود لأزاحم الوغد في وكره، تم يقول لا لا لأواصل ما جنّت لأنيه" فراح يخطو نحو القرية بكل إبتهاج كأنه اصطاد سمكة التونة النازرة، وعندما وصل الى القرية، وجد أهلها نائمون جميعاً كجثة مرمية على أرضية، فظن أنهم ميتون وراح يوقظ النساء أولاً، كم هو وغد هذا البطل، وقد إنطلق في تلك الشقراء الجميلة التي كادت تكون مصيره، بل شطيرته اللذيذة، ولا أحد يتزحزح من مكانه، إنه موتى رسميين، وبعد نصف ساعة، وعندما كان قاندوسكي ينتحب وهو جالس على جدع شجرة ميت يشاهد تلك الجثة المكتبة، وللحظة تبدأ الأجساد بالوقوف من حالها ، فيصرخ قاندوسكي من الرعب، يظن أنها القيامة قد وصلت، والحساب اليوم، فراح الكل يضحكون عليه، وجنونه يتدفق بكل مهل إنه يصرخ ويكاد يجن، فوقف الفتاة وقالت له:

صديقي، إهدأ لا تفرع،إننا أحياء،وهذا هو أحد الطقوس التي بها نرتاح في كل نهاية أسبوع "نهض فاندوسكي منز عجا يصرخ:

ما هذا التقليد،هل أنتم حمقى أم ماذا ؟

فقال الرجل " الحكم " : لقد أحضرت شيئاً من الذئب يا عزيزي ؟

فأراهم فاندوسكي وشاح الذئب فصرخ الكل من الفرح،محتفلين به وبنصره،وقد قيل أنه أصبح جزءاً من أهل القرية،وللحظة عوى ذئبنا العزيز،فوجهة أنظار الى فاندوسكي يقولون: اذا قتلت الذئب فمن هذا الذي يعوي ؟

وفاندوسكي يلعن الفنان الذي يسكن الوكر فقال:

إنه عواء جراءه،إنهم مجرد أطفال أيتمتهم، لم يطاوعني قلبي أن أقتلهم وإكتفيت بأبيهم فقط.

النظرات مكبوبة على فاندوسكي والصمت ينذر بالعاصفة،فصرخ الحمقى،فقد صدقو كدبته الصببانية.وحيئنذ قال فاندوسكي لتلك الفتاة:

أتعلمين من في هاته الصورة؟ وتلك الصورة تحمل ملامح أبويه !

فقالت : لا لأول مرة أراهما ،فجاءت امرأة عجوز تقول:

أوه من اين أتيت بتلك الصورة يا بني ؟

فقال فاندوسكي منبهاً: انها والداي!

فقالت المرأة: إن تلك الصورة هي لي أنا وزوجي روبيرت فيلكاين،وقد إلتقطناها في تمانينات عندما كنا أحياء يا عزيزي!

كان فاندوسكي يحادث نفسه ويقول؛ ها قد عثرت على والدتي ! وعندما سمع الجزء الأخير من كلامها أصابه الذعر ولم يعلم اي فعل يقوم به حينئذ،فجاءت الفتاة تقول؛: اوه،إن الذي في الصورة هم جيرانني وقد توفيا العام الماضي بفضل فيروس لعين كان منتشرأ في البلدة حينئذ،فهل تقربهم يا فاندوسكي ؟

أجاب قاندوسكي بحزن يتكئ على جبينه: إنهما والدي، لم أراهم منذ أن هبطت إلى هذا العالم، ولكنني رأيت والدي لتو، وقد سألتها عن نفسها فلم تجب!

فقلت الفتاة: يا لك من مسكين انت يتيم أبوين، ولكنك لم تياس من البحث عنهم، إنهما ميتان يا صديقي، ولكن أرواحهما تبقى ضائعة لمدة شهر تقريباً، وذلك راجع لقوة عجيبة التي تحرس هاته القرية، لدى قيل أن أهل هاته القرية لا يموتون، لأنهم يبقون على قيد الحياة كأرواح تعيش في هذا العالم، فقد تجد الجبل السابق يشاهدون التلفاز أو أنهم يقامرون على نرد رخيص، فللحظة يختفون كلهم لتعود القرية مهجورة كما كانت، لينهض هؤلاء الأموات في كل أسبوع لإحياء ما فيهم من ذكريات وما عاشوه من عظمة.

فقال قاندوسكي: أيعني أنني كنت مع أموات، وهل أهل القرية أموات أم أحياء؟

فقلت الفتاة: إنهم أموات؛ كلهم، ما عداي أنا!

إنذرح غضبه مستسلماً للموقف تم قال: خضت كل تلك التحديات لأنتسب لأهل قرية متوفون يا لها من حماقة. تم حمل نفسه مغادراً القرية، فقالت له الفتاة: هل يمكنك إصطحابي إلى المدينة في طريقك؟

فقبل قاندوسكي وراح يهرول بسيارته، وكل مرة يميظ عيناه على يد الفتاة، ليرى الخنجر المرسوم بالوشم، فقال لها مقتطعا الصمت: من اين لك بذاك الوشم؟

فأجابته: إنه وشم توارثته عائلتي وأنا آخر شتلة من بينهم. وقيل أنه به ساجد شخصاً يحمل وشمًا لغمضه من سلالة أخرى لقرينتنا نفسها، وشمًا في قدمه اليمنى، فقال قاندوسكي: أوه حسناً، فيمناي لا تحمل وشمًا منذ خلقت! ولكن أخرى قد قطعت..

فقال مغازلاً الفتاة: لو كنت ممن سيُشكّل مصيري، فسنعاول رؤية بعضنا مرة ثانية!

فابتسمت وقالت: ربما، سنلتقي إن كنت غمضي، وكُنْتُ خنجرًا.

فوصلاً لوسط المدينة، وأنزلها من موضع الذي حملها منه، وواصل مسيره نحو قصره، ومن تم داعت المأساة؛ موت جدته، والكثير من الناس يجتمعون أمام قصره

والصحافة لم تفلت مثل هذا الموضوع لنشرتها القادمة، فعندما وصل فاندوسكي، توجهت الكمرات إليه يسألونه:

مالدي تقوله أيها الفنان في مسألة موت جدتك، قيل أنك تركتها بالجوع حتى ماتت فهل هذا صحيح أجبنا بصراحة؟

صدم فاندوسكي لخب وفاة جدته وراح يبعد الجميع متلهفا لرؤيتها لآخر مرة، ولكنه فشل فقد أخذوها لمستودع أموات، وقد بقيت صورتها معلقة على جدران الحائط وفاندوسكي يتأمل ملامحها ويتذكر ذكرياته معها، فلحظة جاء رجل عجوز وقال: يا بني جدتك قبل أن تموت أوصتني بأن أبلغك هاته الرسالة!

فأخذها فاندوسكي متسائلا! وراح يقرأها، وحينما قرأ سطرين قال: أوه، أنا لا أحيذ القراءة فكيف أقرأ الآن؟ تم واصل قراءة الرسالة، وقد تبين أن له ابنت خالة مفقودة، وقد كتبت له عنوان عملها، وقالت في أبهى وصف لها أنها تحمل وشم خنجر في يدها اليمنى، وإنها ستكون زوجة صالحة لفاندوسكي، وقد دعتة لبيحث عنها ويحتضنها من قساوة هذا العالم، وهذه هي أميتها الأخيرة!

وعندما أنهى فاندوسكي قراءة الوصية، راح يتساءل "اتلك التي كانت مع هي نفسها ابنت خالتي! لا أظن لربما أخطأت فيها!

فقال في نفسه، "يا فاندوسكي حاول رسمها لترى ملامحها بشكل واضح؛ فأخذ الفرشات وبدأ الحرب، وعندما إنتهت اللوحة، إنصعق المسكين بزوال السحر من لوحاته، وقد تُركت مهزولة، جافة الطباع، لا يراها إلا من ثملو، فقال أحد الحاضرين: سيدي فاندوسكي هناك إضراب أمام القصر، إنهم يطالبون بسجنك!.

فقال فاندوسكي متسائلا: كيف لي أن أسجن وأنا لم أفعل شيء؟

فقال الرجل: لقد ظنو أنك من قتل جدتك، لأنك بدوت مؤخراً لا تهتم بها، بل بدت كقتل على كاهلك! فهض فاندوسكي غاضبا حتى كاد يصفعه، وقال: لا معنى لهذا الكلام، إنها جدتي ويستحيل أن أفرط فيها!

فقال فاندوسكي للرجل: إسمع، قل للخبراء تشريح أن يسرعو فغدا؛ أود أن أدفن جدتي وأنهى ما بدأه التاريخ.

وهنا تساءل فاندوسكي :في أي مكان سأبحث عن تلك المزعجة؟

فتذكر العنوان في الوصية وراح يستدرج ه خلف آثار وقال:

إن لم تعثر على البقرة فيكفي أن تعثر على كأس حليب، ولا يهم من صاحبه!

فذكرت الوصية شيئاً ما، يقصده شباب اليوم إنه عبارة عن لغز قبيح ينفذ الى عمق الواقع حيث يعيش إنسان الذي يطمح الى المتعة، فقيل في الوصية.

أول حد في مستنقع، وأرقص بين المجاري وألاعب كل الجردان، ولا أترك أرضاً دون أن أنفض سحري عليها فمن أكون يا ترى " .عندما صحح. فاندوسكي في الوصية إقتنع بشيء واحد، بأن جدته قد وضعت في موقف جبان، مادام لا يجيد الكتابة والقراءة، فراح يبحث في المقاهي، والملاعب ويسأل كل فتاة رآها هل أنتِ إبنت عمي؟ وفي بعض المرات يمسكهن من أيديهن ليتفحص الخنجر المرسوم، فلا يجد غي الجلد القدر، حتى أنه قد أصبح مطلوباً لدى الشرطة، بفضل هاته المناوشات التي يثيرها داخل المدينة، وفي أخير تم توقيفه، عندما كان جالسا تحت شجرة بالحديقة العامة، يفكر في وسيلة ليجد بها فتاته الضائعة، فحينها وقف عليه إثنان من الشرطة، وأخدوه الى المركز، فعندما دخل الى المركز إنصعق لما رأى فتاته الجميلة، جالسة أمامه، وقال المفتش: أدخل النذل الى الزنزانة لنهتم بأمره لاحقاً، يا ترى ماذا تريد هاته الجميلة؟ إنه لأمر غبي أن تحركنا غريزتنا حتى في تقديم المساعدة، حتى العدل وانصاف والمساواة يُعْبَرَان بالكلام المعسول لإحدى الحسنات، فقالت الفتاة:

اهذا فاندوسكي ؟ ربما ! المهم يا سيدي جئت لأقدم شكاية، فهناك بعض الأشقياء يضايقونني كل يوم، حتى أنهم يتحرشون بي !

فقال المفتش :من الجيد أنهم لم يفعلو شيئاً آخر! لهذا الجمال الناصع بالياقوت، كيف لهم أن يقفوا في الهامش ويرون هذا الجمال يضيع سداً!.

فصرخت عليه قائلة :سيدي جئت لأقدم شكاية لا لأنال إعجابك!

فقال المفتش: هل ترين يا أنسة تلك المرأة في الخارج هي وإبنتيها الصغيرتين؟

فقالت الفتاة: نعم امرأة مع مراهقتين؟ ما قصتهما؟

فقال المفتش: إن هاتين المراهقتين قد تعرضنا للإغتصاب على يد أستاذهما في الجامعة، من أجل أن يزيد لهما بعض النقط في مادته، وليس فقط هاتان بنتان بل توجد أربعة غيرهما وأمهما الآن قد جاءت لتسحب شكاية بعضهما أعطاهما المتهم

مليون درهم تعويضا على ضياع الشرف، لتنازل عن القضية، وهما هي قد قبلت عرضه" وأنتِ قد تحرش بك بعض الكسالى وجنتي تركضين وتتنحبين أمامي، إن الذي يتنازل على شرفه لهو أكبر المجرمين، وأبسل من ينبغي تحطيمهم ومعاقبتهم، فكيف لك أن تفهمي أمر، وهذا العالم، قد أصبح مستنقعا فيه يصمت الأهل عندما تغتصب بناتهن، لبعضة قروش، كيف يرضى هؤلاء القوم العيش دون شرف، وقال قاندوسكي، مقاطعا المفتش، بعدما كان يستمع لمحاضراته في أخلاق، وسوء الفضيلة:

سيدي لقد عشت في قرية، وشهدت مشهداً غريباً، بفضل له لم أرتد المدرسة قط، فقال المفتش: ماهو؟

فقال قاندوسكي والفتاة تستمع: كنت أقطن في قرية صغيرة وكنا عشرة قرى نجتمع سويا حول مكان واسع نسويه المدرسة، كنت أكره المدرسة منذ صغري، عندما كنت ألعب مع أصدقائي، فأسمع أنه قد ضربه المعلم لأنه نسي قيام بالواجب، أو انه ضرب لغيابه وتأخره، ومما زاد من تخوفي منه، بل ما عدت أستطيع حتى أن أحوم بجانب المدرسة، ولكن في يوم ما، وقعت كارثة، كانت متعلقة بفتيات القرى جميعهن، كانوا منقسمين لأقسام وكل قسم يحتوي على بنات من القرية ما، وفي إحدى حصص الرياضة، أخذ استاد الرياضة يحاول جذب كل الفتاة واحدة تلو أخرى الى وكره، الى غرفة تبديل الملابس، كان مفتول العضلات، وضخما لا تحمله إلا قدماه الكبيرتين، كان يستدرجهن الى هناك ليغتصبهن، وقد فعل ما أراد، فأغتصب عشرون فتاةً مقابل أن يضع لها في مادته نقطة العشرين، هكذا ساومة الفتاة العفيفة شرفها ببضع نقاط ولم يفلت الذئب عرض النعجة وتمت المعجزة، وقد إنتشر الخبر وفاضت المدرسة.

بالفوضى، وجاء آباء التلميذات، وانتهت الفضيحة، لقد إنتسى ماضيهم البشع، ولا يخفى عنك سيدي أنني أشك في أنهم قد أخذوا مال ليتناسوا الأمر، وقد طمست المدرسة فعلت الماكر، وتم ترحيله الى مدرسة أخرى لا يعرفه فيها أحد، بصمت وحرر قائلين؛ محاولين تغطية الفضيحة؛ ومن تم أصبحت هاته المدرسة تدافع

عن الحق والواجب، والغش، وتحاول زرع أخلاق النبيلة،.... إن هؤلاء أهل الحمقى الذين يفكرون في المادة بذل شرف وأطفالهم، وهم أول جيل يستحق الحشر، يل هم أول من أنجبتهم بطون جارية وهي ترقص على أنغام بيتهوفن.

فقال المفتش: كم هو غريب هذا الأمر، الأهل من أجل سمعتهم يحاولون تغطية الفضيحة، بفضيحة أوقح من أولى، فكيف لأهل كهذا أن ينجبو عظماء وهم أنفسهم أنجبوا خطأ في هذا العالم!

فقال المفتش: ايها الحارس أحضر لي ذاك الشاب!

فجاء فاندوسكي واقفا أمام المفتش، وقد حاول تقريبه من الصورة بخصوص موت جدته، وقد قيل ما قيل، وفهم المفتش ما عليه أن يفهمه، وحتى ملامح فاندوسكي لا تبعث على كونه مجرماً، فأطلق صراحه مادامت كل التهم مجرد لغو جماهير، وقيل له انه إن وجدو شيئاً في الجثة فسيحبس الى لأبد، وخرج فاندوسكي من المركز مرفوع الرأس كأنه فاز في أولامبياد، بعدما أدخلوه ككلب عجوز يلفض أنفاسه أخيرة، وقد بقي في الخارج حتى خجت الفتاة، وهناك تبدأ قصته تانية؛ فهل سيكون هذا الحب كما مر من بعده؟ أم أنه سيطول الى لأبد؟ وهل في نية هذا الأبله أن يبذل الحب من لاشيء، مادام أنه خسر قلباً، وتلاشت تفته في الآخرين؟

"عندما يوجد المال، تغيب الحقيقة، وأحقية من لهم سوابق في التلاعب بالمكانات"

"يا بني لا أريدك أن تكون فقيراً، لثُجِبَّ، بل أريدك أن تكون غنياً لثُجِبَّ"

الفصل الرابع :

زوال اللعنة الوقوع في الحب`

" التاسع والعشرون من ديسمبر عام ٢٠٠١ "

في العاشرة صباحاً، وعندما بقي فاندوسكي منتظراً خارج مركز الشرطة، فإذا بالفتاة تلمحه وهي تخطو باتجاهه بكل نعومة، حتى مشيتها تبدو متأنثة على غير العادة، وفاندوسكي كله فرح في الحديث معها، فوقفت عليه وقالت :

هل أعرفك يا سيدي ؟ كأنني لمحتك في مكان ما؟

فقال فاندوسكي : ألم تذكريني يا أنسة أنا الرجل الذي أخذته الى جزيرة فوكايدو أسطورية، وقد عدنا معاً، وقلت ان كان مصيرنا واحداً فسنلتقي مرة ثانية وها قد إلتقينا !

إبتسمت الفتاة وقالت : لا يا عزيزي فقط أخطأت الرقم، لست هي، ولم أرك قط" وقالت وهي تنسحب من الحديث ذاهبة الى سيارتها الجيب "يا له من بشع، كنت قد إنسلت منه قبلاً وها هو دا يظهر لي مرة أخرى، يا لحظ التعيس، لماذا لا ألتقي بالوسيمين ...

فقال فاندوسكي : اوه لربما أخطأت، الفتاة أخرى، كانت بسيطة، ومرحة وطابعها العاطفي يبعث على الابتسام طوال الوقت، ولكن هاته البائسة لا تقرب الطيبة حتى من بعيد.

وعاد فاندوسكي الى قصره ليرتاح قليلاً، فجاء إليه الناس يصرخون " ليسقط فاندوسكي... ليسقط فاندوسكي..... ليسقط فاندوسكي....

فقال له الخادم :يا سيدي إن السيد فولكين سوراج هو من حرض هؤلاء الناس، وحتى إعلام ليسقطوك وينهبو أموالك،.

فقال فاندوسكي :من هذا فولكين سوراج؟ لم أسمع به قط ؟

فقال الخادم :إنه صحفي مشهور من جريدة الوطنية، وقد كتب عنك مقالا مساء البارحة هاك أنظر:

وقف فاندوسكي مشاهدا الصحيفة وقد كتب :

إن الذي يسعى للثرف لا يهتمه العلاقات، ومهما كان جيدا في إخفاء طمعه، فسيظل مرهونا بالشهرة والمال، وهذا ما جسده داك الكيان المعروف بالفاندوسكي أعجوبة، لقد قتل جدته دون أن يحرك رمشاً واحداً، وألبس الجريمة لسكتت قلبية، فقد أتقلت كاهله منذ أن شاخت، ولم يعد يرى فيها سوى عجز يهدم ترفه ويسقطه تحت أقدام الإنحطاط، علينا أن نحارب أمثال هذا الحيوان، هؤلاء البائسون يروننا كعبيد لهم، ونحن من أوصلهم لما هم عليه... الخ

إبتسم فاندوسكي عندما رأى المقال، وما زاد من ضحكه أنه رأى صورة الصحفي الذي كتب المقال؛ والخادم متعجب من تصرفه هذا فقال الخادم:

هل أنت بخير يا سيدي؟

فأجابه فاندوسكي: نعم يا صديقي أنا بخير، وبأحسن الأحوال، لم يكذب صديقنا الصحفي ، عندما قال أن الغرور يتولد عن الشهرة والمال، ولوقت طويل نسيت أنني ثري ومشهور، بل لم أكن أقيم أمر من هاته الناحية، وذاك الصحفي المجنون، هو أكبر الماكربين على إطلاق، فقد تأمر مع من كُنْتُ أحسبها حبيبتي

،ليسرقو لوحاتي وينشهرو بها،ولكن في أخير وقع اللوم كله على فيوزيل،وهو قد إختبأ وراء السحاب .إنه فعل الجبناء،فعصرنا هذا رجاله هم نساءنا،ونساءنا هن رجاله.فضحك الخادم،وقال :سيدي أعلم ببراءتك،وكل هاته إدعاءات السخيفة هي من صنع ذاك الماكر،فأقترح عليك أن تسافر حتى يهدأ الوضع وأنداك يمكنك العودة،فقال قاندوسكي مبتسماً:

الحق معك يا صديقي،لكن لن أسافر بمفردي من الجيد أن آخذ من يؤسنني في رحلتي."

فابتسم الخادم وقال: لا يا سيدي لا يمكنني السفر معك،لدي عمل ينبغي القيام به ! فضحك قاندوسكي وقال: لا لست أنت يا زيرافلي بولقاتي ،فأنا قصدت فتاتي تلك التي سأجدها اليوم.

فأغمس زيرافلي رأسه بين كتفيه،وغازر الصالة.

فحمل قاندوسكي نفسه،مستعد كل إستعداد لبيحث عن إبنت عمه الضائعة،ولكنه أحبب لمجرد أنه رأى تجمعاً أمام قصره،يمنعه من الخروج،فقال:

إنه العقل جماهيري،يصدق أي كلمة جاءت لتحطم شيئاً ما ،أو شخصاً ما ؛لقد ولد أمثال هذا العقل لينالو خبث أنفسهم ونذالته التي تبقى مختفية وراء كل تعقل.

وقد فكر قاندوسكي في طريقة تُجنبه من الوقوع بين يدي المضربين امام قصره،فوقعت فكرة خطيرة في دماغه الصغير،وهي أن يتنكر في لباس عجوز فقيروقد إستدعى خادمه زيرافلي وأمره بأن يحضر له ملابس رثة وشعراً مستعار أبيض وعصى عوجاء،وهذا ما حصل،وقال قاندوسكي لخادمه:

إسمعني يا زيرافلي،بعد أن أرتدي هذا اللباس،ستمتل معي مقطعا من مسرحية،حيث سألعب دور أني والدك وأنت بني؛وستخرجني وترميني عند قدمي الناس وتشتمتني وتقول: هذه أوامر سيد قاندوسكي وتعلق باب القصر.

فقال الخادم: حسنا سيدي رغباتك أوامر.

على الإنسان أن يخسر ليربح،هذا قانون الحياة..

وهذا ما حدث حتى الآن، وعندما تنكر فاندوسكي بتياب الفقير العجوز، تذكر نفسه عندما كان متشرداً يوجب أنحاء الشوارع يبحث عن مأوى له، فقال أحد الناس وهم ينظرون إلى الخادم يرمي فاندوسكي متتكراً كعجوز: أنظرو يا إخوتي، حتى العجائز لا يحسنون التعامل معهم، فجاء بعض الشباب فحملو فاندوسكي مقنعاً إياهم بعجزه عن الوقوف، وقال:

يا أبنائي خذوني لأجلس بقرب تلك الشجرة هناك؟

وقد أخذه وأجلسوه كما أراد وقبل أن يذهب أحدهم قال: ماذا فعلت يا عمي ليطردك سيدك خارج قصره؟

فقال فاندوسكي: طلبت منه قليل من أكل، لأنني أردته لجيراننا المساكين ولكنه رفض بدواعي أن له خلافاً معهم وهذا ما طردني لأجله عندما أعطيته محاضرة لمعاملة الجار.

فقال أحد الشبان: للأسف يا عمي هذا الشاب المغرور، ينبغي معاقبته، ونحن من سنعاقبه، فذهب الشاب ليكمل احتفاله مع آخرين أمام قصر فاندوسكي، وفاندوسكي نفسه الذي خرج متتكراً، وقد راح يبحث عن ابنت خالته، أخذاً معه وصية جدته، منتبهاً ما في الوصية، وقد قادت قدماه إلى حي شعبي، وقد أبقى على منظره كعجوز لألا يجذب أنظاراً ويثير غضب المارة.

فليس شرطاً أن تفعل الخطيئة لتلام، فقد يجذون لك سبباً يفسدون سمعتك، فقط لأنهم حسدوك، على شيء ما عجزوهم عن فعله...، وبينما هو في الشارع يسأل المارة عن العنوان، فقد ظنه في أول منزل عادي، في حي حقير يسكنه المجرمون، وقد سار طويلاً حتى خيم عليه الليل، والتعب معاً، وأمطرت السماء في تلك الليلة، حيث ما كان يحميه الاقماش بئس، فجلس بجانب الطريق يتخيل ما قد يحدث له، بل ما ينسيه البرد، وللحظة سمع ضجيجا ينبعث من أحد الحانات، فراحت قدماه تتسلقان الأرض إليها، بفضل متشعب وقلب شاق ينتهب لما سيرى، فقال فاندوسكي وهو يدخل أحد الحانات لنفسه"

" كانت السماء ملبدة بالغيوم، وأمطار تتسابق فوقني، فلم أرى غير حانة قد أثارتنني بشغبها، لأحتمي فيها من هذا البرد الجاتي، لم أكن أرتدي إلاميص

مخطط وسروال ممزق، نعم لباقة هذا العصر، دخلت الحانة المضيبة بالناس أغلبهم نساء وما بقي مجرد رجال، كل رجل يمسك إثنين، نعم هذا هو العدل الإجتماعي كما قيل، دخلت غريباً فلم يلتفت الي أحد، الكل مشغول مع معشوقته البائسة، ماذا، اوه هاهيا فتاة تنادي، تعال أسكب لي ؟ أسكب لها القليل من ياسي ... والباقي البائس من كحولي الصدئة، فقالت الجميلة " اوه اسفة ظننتك "جارية" نادلا! هل لديك حبيبة ! تكاثرت علي أسئلة كأنني شهدت ولادة عنكبوت شريرة فقلت متشوقا :لا ليست لدي! فابتسمت ويا لطول الجمال، فالجماليات دائما نجدهن في الحانات والحدائق تصلح للشباعت. فقالت بمنتهى الخجل: لنكمل الليلة معاً، هل تسمح برقصة " ظننتها قالت قبلة" فأسرعت لأعانقها ...

فأغلب الجميلات نجذهن منحرفات...

قبلت الرقصة، ولكن الجيد أنني لم أكن أجيد الرقص، مرة... مرة أنكب لإحتضانها بدوت وقحاً، أروع حقير شهدته تلك الحانة يوماً، فقالت الجميلة "لا تعرف الرقص سأعلمك! الكل نظر الي نظرة استغراب مع نوع من الذناء يقولون" اوف اتمنى لو كنا مكانه ههه".

وللحظة وقف الجميع مجمدين، لربما رقصي الجميل أثار حماسهم الطفولية، لحظة... لحظة إنه قطار يخترق بأشعته الحانة والكل هارب .. رجلاي لم تعودا تحملاني، أركض وأركض ذون فائدة، تلك الجميلة أضعتها بين القبيحات ولربما دعسها القطار، يا ويلتي من السائق، لربما يحمل شهادة طائرة وقد قاد بالخطأ هذا القطار النفات، هاهو ذا يمضي خلفي وانا أصرخ أنقذوني، فمدت فتاة يدها لا اعلم من أين، ولا يهم مادمت سأنجو من الموت، وعندما أمسكت بيدها، إنبعث ضوء خارق، بيننشلني بعظمته الي غرفة مظلمة وها قد أشعل فيها أحدهم الضوء... "وقوف قاندوسكي أمام الضوء، صارخاً فإذا به يجد نفسه داخل حانة مملوءة بالبشر، وهذا ما تخيله قبل أن يضع قدماه فيها، ولكنه إنصعق بعدم التفات شخص اليه، حتى النادل مشغول في حاله، وكل ما رآه أنداك ضوء الحانة المريع، وفتاة جميلة ترقص للعاجزين، وكلهم نحيب ونواح أمامها كأنها كانت تطعمهم اللحم دوماً فتذكر قاندوسكي جملة التي توجد في الوصية، وما كانت تقصده الجدة بالعنوان، إنه حانة قبيحة يقصدها الكلاب ليسكتو جوهم بظل لحمة

لا تحمل دسماً. وهاهو ذا يتفحص المكان باحثاً عن إبنت خالته، ولكنه لم يجدها، فجلس على كرسيٍّ، وطلب المسكين كأس كحول بارد، ينعش عيناه نائمتان، فقال: أيتها البائسة صبي الي كأس من اليأس!

إبتسمت الفتاة وقالت: لا نبيع اليأس يا عزيزي، بل المتعة والتسلية.

فوضعت أمامه كأساً من النبيذ الرخيص، وهناك وجد إبنت خالته، إنها الساكبة، فحينما وضعت له كأس رأى خنجراً مرسوماً على يدها اليمنى، فقال لها:

هل ترافقيني الي هناك لتكلم قليلاً؟

فضحكت الفتاة وقال: أترى كل هؤلاء الحمقى السكاري، إنهم جميعاً يرغبون في مصاحبتي، بل في كل دقيقة أسمع منهم مجاملة بائسة وإطراء قبيح ليجعلوني ملكهم، وقد جئت علوة وتحاول جذبني بهذا الطبع الجاف والوحد.

ضحك فاندوسكي وقال: لا يا عزيزتي، لا يهمني شيء هنا غيرك، فقد جئت اليك، قاصداً ايالك!

فإبتسمت بمكر وقالت: هؤلاء كلهم جاءو من أجلي، ومن أجل النبيذ، فالنساء كالكحول، كلاهما علاج للهموم! فهل أوصل السكب لك، أم أنادي لإحدى صديقاتي لمواساتك، فقد ظهر على وجهك يأس وبؤس مقرف.

فقال فاندوسكي: أريدك أنت، وقد أرسلتني جدتي من أجلك!

فقال الفتاة: اوه، ظننت هؤلاء قد أرسلتهم عمتي ولربما زوجاتهم البائسات!

فقال فاندوسكي: هل تعرفين سيدة إسمها نيرمين؟

فقال الفتاة: إنها جدتي؟ كيف تعرفها؟ من أنت، يا هذا؟

فقال فاندوسكي: الضجيج لا أسمعك جيداً، عندما تنتهين من عمالك سنتحدث في أمر!

فقال له: حسناً، خذ هذا الكأس من عندي!

فأمسك فاندوسكي الكأس وراح يهرول وسط الحانة حيث الكل يرقص على أنغام موسيقى بالية، فأمسك بفتاة ترقص لوحدها، وقال: يا قمر هل ترغيبين في رقصة مع هذا البائس! ابتمت الفتاة وقبلت الرقص معه، كانت جميلة وذات قوام ساحر، وقد بقي فاندوسكي يرقص حتى إنتهت الأغنية، فأخذته تلك الفتاة وأجلسته في الركن تماماً، لربما كانت ترغب في شيء ما، ولكن فاندوسكي بدى كأنه يحكي لها على حظه التعيس، وما مرَّ عليه من أسى، فتركته الفتاة راحلة فقالت:

لا أحد يحب سماع التراهاث، خصوصاً تلك البائسة عن حياة المرء، فإن جئت لتتمتع معي فمرحياً، وإن كنت تحتاج لمن يسمع همومك، فإذهب لدار العجزة إنهم يجيدون إستماع.

وللحظة سمع فاندوسكي صوتاً رقيقاً يناديه:

هيا يا فتى فقد أنهيت عملي... فتطلع الى الساكبة، وقد تيقن أنها المنادي وراح وراءها، يتتبع خطواتها بمهل، فيقول:

أنا ابن خالتك، وقد أرسلتني جدتي نيرمين إليك، وقالت أنني سأعرفك بشيء ما مرسوم على يدك اليمنى.

فمدت يدها، ورأت الخنجر، فقالت: اوه نعم إنه خنجر، لا اعلم من رسمه، فقد ولدت به.

فقال فاندوسكي: وأنا أيضاً، وقد أراها يده اليمنى حيث رسم وشم لغمض خنجر، فإبتهجت تم قالت:

أتعلم بقصة هاته الأوشام يا ابن عمتي؟

فأجابها: لا أعلم.

فقالت الفتاة وهي تتوجه الى سيارتها: إركب، وفي طريق سأحكي لك قصتها!

فركب فاندوسكي والدهشة لا تحمله، فقالت الفتاة وهي تبتسم:

لم أكن أدري أن لدى جدتي أحفاد، بل حتى أنني كنت أجهل أن لأمي إخوة، فقد كنت اظن أنني فتاة غير شرعية قد أنجبتها لحظة من المتعة الساحقة لحمقى

بالغين، المهم يا ايها الشاب، إن قصة أو شام ستبدو لك غريبة ولكنها الحقيقة، وقد سمعت أن كل من يحمل وشماً كهذا فإنه ينتمي لسلالة عريقة، ونبيلة تمتاز بالبشاعة والقوة والبسالة لأنها تحيل على السيف او الخنجر، وقيل أن أول سلالة قد قامت برسم أو شام من الخناجر في أيدي بناتها وأغماض في أيدي أبناءها، ليكبرو ويتزوجو من بعضهم، محافظين على سلالة نقية دون دخول، وليعرف أبناء القبيلة من بناتها وحتى بناتها لتعرف أبناءها...

فقال قاندوسكي: لم أكن أعلم بهذا حتى الآن، ولكنني سمعت من جدتي أنك ستكونين من تنتشيني من ياسي يا ابنت خالتي.

فابتسم الفتاة وقالت: كنت أنتظرك أنا أيضاً، فقد مللت العيش وسط هذا مستنقع البائس، لنذهب سوياً الى مكان ما لا يعرفنا فيه أحد ماذا قلت؟

فرح قاندوسكي وقال: اوه حسنا موافق !

فقال الفتاة: كيف لك أن تذهب مع فتاة لا تعرف اسمها أيها السخيف، فإما أنك مفرط في شجاعة أم أنك أحمق بليد.

فقال قاندوسكي: أعلم من أنت ولا أمانع السير معك الى الجحيم، فأولا يجب زيارة قصري لنحمل بعض أشياء الهامة، ومن تم نسافر..

فقال له: حسنا، بالمناسبة إسمي فيالوسي قولكاين؛ ولا تسألني عن عمري لأنني لن أجيء.

إبتسم قاندوسكي وقال: يالك من حسناء، لا يهمني عمرك وما قد مضى، أنت من يهمني الآن يا عزيزتي قولكاين.

وقد عاد قاندوسكي بصحبة ابنت خالته الى قصره، بعدما حكى لها قصته من أول، وطلب منها أن تساعد ليُدخل القصر مرة ثانية، وهذا ما فعل، وصل قاندوسكي لقصره وقد تفاجأ بأن كل أولئك الناس ذهبوا الى منازلهم، وانفكت إضراب، فقال: الحمد لله، الآن لا داعي لتتكر، ونزع ملابس الرثة وشعره المستعار، ورن المنبه ليفتح له الباب، وبعد قليل فتح الخادم الباب ودخل قاندوسكي مستعجلاً لحمل أغراضه، فقال له الخادم: الى أين يا قاندوسكي؟

فأجابه: سأحمل رسماتي وأرحل من هنا؟

إبتسم الخادم وقال: لا تنسى كل ما تملكه، فقد أصبح هذا القصر لي.

ضحك فاندوسكي وقال: حسنا يا عزيزي، تركته لك بعد سفري سأعود اليه !

فقال الخادم: حسنا سنرى!

تم غادر فاندوسكي مع ابنت خالته نحو مدينة صغيرة تسمى روزا سيلفايت" وهناك يوجد بيت قديم لها، حيث كان يقيم فيه والديها قبل أن يختفيا، ومن هناك بدأت قصتهما .

فقال فاندوسكي : مهلا ..مهلا يا فولكاين أريد أن أرسمك، أرجوك،

فقبلت فولكاين.وعندما رسمها إستشعر أمراً غريباً،لم يكن يراه في فنه،بل أمر عجيب،فعندما كان يرسم قبلا،كان الرسم هو روحه،إنه كيانه الداخلي يتولد خارجاً ولكنه الآن،إستشعر أنه مجرد رسم،وموهبة يعيش بها،ويهرب اليها من هذا العالم البائس،فقال : مهلا سأرسم تلك المنازل التي بجانبنا ! وكان من وراء هذا رسم اختبار ما إذا كان رسمه لا يزال يتحقق،أم أن اللعنة قد زالت من هذا الوجود،وعندما أنهى رسمته دهشت الفتاة لرسمته الساحرة،وقد تأكد فاندوسكي أنه فقد قدرته على التنبؤ بالمستقبل،فقال حزينا:

إن رسمي أصبح بائسا،بعدما كان أقيح من الآن،ولكنه كان مقبولاً بدرجة من التنبؤ الماورائي.وها أنذا فقدت القدرة على التنبؤ بأشياء وعدت لكياني أصلي،كأشخاص عاديين !

فقال فولكاين: هل أنت مجنون ؟ إن هاته الموهبة هي روح إبداع،إنها أرقى شكل تعبيرى وصلت إليه البشرية قط،إنك لفنان موهوب،فحتى وإن سقطت من أوراق ستظل جدعاً شاهقاً يلمس الغيم بأيديه.

فإبتسم فاندوسكي قائلاً: فقدت سحري واكتسبت سحراً،وما السحرُ إلا أنتي يا فولكاين .

خجلت الفتاة وقالت: أنا مجرد فتاة بسيطة، لا أظنني جميلة، ولا ينقصني الجمال. لدى فأنا واثقة بما أنا عليه. و عليك أنت أيضا أن تقتنع بما أنت عليه، فإنسان مهما بدى له أنه فإمكانه أن يغير ما بطبعه، فإنه مجبر على أن يكون غير إلا ما هو عليه.

فقال قاندوسكي: فتاة شابة، ذات شعر أسود يميل الى إحمرار، بأنف صغير وابتسامة مشرقة تسرق عظمة الزهور ورائحتها، أفما هذا كله من شيم الجمال، إنك لوحة زاهية في عقلي الصبياني.

فقالت قولكاين: لولم تكن ابن خالتي لظننتك أحد السكارى الثملين في حانتي، ينتظرون مني سكب لهم.

فقال قاندوسكي: ما لشيء أن يثمنني أفضل من إبتسامتك !

هذا ليس تجملا، ولكن أحاول أن أبدل ما لم أبدله قط في المشاعر!

فقالت قولكاين: لماذا لم تبدلهم، ألم تجد من تفهمك؟

فقال قاندوسكي: بدلتُ منها "المشاعر" ما يغرق جل السفن بداخلي، إلا أن كل سفينة كان لها قبطان طماع لا يرضى بالسّمك الصغير بل يسعى الى التونة الضخمة". إن أمثال هؤلاء الحمقى يظنون أوفياء لطابعهم الحقيّر داك الذي يبني على المظاهر الوسيمة الى حد لا يرون فيه إلا الجمال الفاهر دون نظارات، تلك التي بها يفضح المرء نفسه، فلا يهم ما ادا كان كاذبا أم ندلا ام خائنا، المهم في أمر أن يكون وسيماً لا غير، حقا يؤسفني أن أرى من مثلهم ما يجعلني أتقياً لمشاركتهم معي في هوائي، وفي وجودي على هاته الأرض.

فقالت قولكاين: أشعر من كلامك أنك قد مررت بتجارب قاسية، لم يخلفو من وراءها سوى الخراب داخل أعماقك، لدى لا تجد من المشاعر ما تعبر به، لأنها وبكل بساطة قد ولت رُكاماً لا يحتاج سوى للإزالة.

إبتسم قاندوسكي وقال: الحق معك، فكل فتاة أحببتها رفضتني، بسبب خلقتي وبشاعة منظري، ويدي المقطوعة، وحتى بعضهم قد أحبني لأنني مشهور، أو أنهم طمعوا في سرقة لوحاتي، فما أقبح تلك الطبائع البائسة التي دائما ما تظهر ظرافة

وبراعة غير مألوفة وفي النهاية تظهر كدلو من القمامة مجتمعاً في ملامح مطمورة من الخبث والنذل الغير مسبوق، فقط ليقنعوا بانسا أنهم هم أفضل على إطلاق، مثالين

للغاية. إن هؤلاء مصيرهم البقاء في خلف سلالة القروذ تلك التي تحتاج الى إبتسام لتظهر للآخرين مدى قدرتها على تسلق أشجار بل على البقاء إيجابيين دون تعاسة تكسو ملامحهم البائسة.

وعلى طول الطريق وهما يتبادلان الحديث، فكلاهما مستمع جيد، فقالت فولكاين: الى أين نحن متجهين يا فاندوسكي، أوليست المدينة في الطرف الأخر؟ وأنت قد تجاوزته لطريق أخرى؟

فقال فاندوسكي: لا لقد مللت من أجواء المدينة، هل تعلمين عن مزرعة لجدتي قد انتقلت منها حديثاً الى قريتها، والآن سنعود اليها، وقد سمتهما جدتي بفيروزة الباروتية، لما تحمله من أشجار خالدة من الفراولة وخليط من الفواكه الناضجة.

فلحظة توقفت السيارة، لقد نفذ البنزين، وما لهما إلا أن يكملا طريقهما على قدميهما، فصرخت فولكاين:

أهذه سيارة أم خرذة، إنها مثلك أيها أحمق، كلاكما تشبهان بعضكما.

فغضب فاندوسكي وقال: إحمدي الله أنها توقفت هنا، وقد بلغنا القليل من الطريق نحو المزرعة، يا لك من فتاة وقحة، ولكن وقاحتك بمنتهى إخلاص كما أنها تجعلني أتقياً منها..

إنكمشت ملامح فولكاين وقالت: أتعلم أنك تشبه قرداً دون مواد تجميل، إنك لست بحظي يا فتى.

ابتسم فاندوسكي وقال: أتعلمين لم تكن لأي فتاة القدرة على شتمي غيرك، وهذا ما يميزك أيتها الضفدعة البائسة.

وبعد طول مسير، فيما يقارب ساعة من المشي، وصلا الى المزرعة حيث كانت بمنتهى الخراب، لا أشجار أو لا حتى وروداً، وحتى المنزل يبدو متسخاً، ومهدوداً لحيله، فقالت قولكاين:

أهنا كانت تقطن جدتي المسكينة، فحتى الحانة أنظف منه بألاف المرات.

فقال قاندوسكي: هيا لننظفه معاً، ونبقى فيه أسبوعاً تم نعود الى قصري في مدينة.

فقالت قولكاين: حسنا، هيا لننظف المكان.

فبدأو يرتبون الأثاث، ويرمون كل ماهو مكسور، ويبقون على الصالح، وبعد نصف ساعة نظف المنزل وأصبح جميلاً، فجلست قولكاين على كرسي وهي تقول لقاندوسكي: هل تعلم لماذا أتيت معك إلا هنا يا قاندوسكي؟

فارتعب قاندوسكي لسؤالها وقال بحزن يركب إهتياجه: لا لا أعلم، لماذا ادن؟

فقالت قولكاين: هل تعلم عائلة آل فيسارتز، إنها مجموعة من المحتالين، وقد كنت أعيش في منزل مع والدتي ومع أن والدي قد وافته المنية في مكان عمله في شركة بناء، فقد ترك لنا المنزل لنعيش فيه، وقد كان يزور جدتي في هاته المزرعة كلما سمحت له الفرصة، وبعدما مات تراكت الديون علينا، أنا ووالدتي، فأصببت أمني بسكتة قلبية راحت ضحيتها، ومن تم خرجت الى الملاهي الليلية والنوادي والخمارات وحتى الحانات لأبحث عن قوت يومي، وأجمع مالا أعيش به، حينما توفي والدي، تنسانا الكل، حتى شركة التي كان يعمل فيها لم تقدم لنا شيئاً سوى جثته ولا حتى تعويض، وقد إستولت على منزلنا لأنه كان لها، وقد قيل لي أن جدتي قد خبأة في مكان ما هنا بعض الملفات التي تخص والدي، فقد أجد ورقة ملكية التي بها قد أسترجع منزلنا.

فقال قاندوسكي: من الجيد أنك قلت لي لما أنت معي، من المخيف أن يأتي معك شخص الى مكان ترغب به دون أن يثير غضبه أو يرفض المجيء حتى.

وقلة من القلة من يجيدون قول الصدق دون أن ترتجف هياكلهم أو أن تتملهم تلك أكاذيب البغيضة.

في المساء وبعد أن تناول فاندوسكي العشاء مع فولكاين، راحا يبحثان في أدراج البيت عن ملكية البيت الذي طردت منه الفتاة، لكن دون جدوى لم يعثروا إلا على ألبوم الصور، وهناك جلسا معاً يتأملان ملامح العائلة، فإذا بهما يرون شيئاً مريباً خلف إحدى صور العائلة إنها ورقة مدسوسة وراء تلك الصور، إن جل أفرادها يحملون أوشاماً لغمض خنجر على أيديهم، ولا أثر لأوشام الخناجر تلك، وهذا ما وثر أجواء وقد أخذت فولكاين تقرأ الرسالة، وهذا ما قيل : كان العالم عبارة عن قبائل، وكل قبيلة لها رمزٌ تميز به سلالتها عن باقي القبائل، وكل رمز يحمل قيمة إجتماعية من خلاله تظهر السلالة بما هي عليه، فالخنجر يحيل على الشجاعة والعزيمة، والغمض يشير الى الصبر والقوة، وكل رمز يتم إنتاجه ليتوافق مع قواعد وتقاليد تلك القبيلة عن باقي القبائل أخرى، وفي يوم ما وقع صراع بين القبائل، أحدهما يحمل وشم خنجر وآخر يحمل وشم الغمض، وقد أفضى الى دمار كل القبائل والسبب أن قبيلة راسبوقيتش دات الوشم الخنجر قد قتلت شخصاً من قبيلة رازفيلوتيس، بعدما وجدوه مع أحد بناتها وسط الغابة، وقد قيل أنهما كانا يحبان بعضهما لخمس سنوات وقد ظلوا كل هاته السنوات يتراسلون برسائل مشفرة الى يوم وقعت رسالة في قبيلة راسبوقيتش وقد وجدو فيها شعراً غزلياً مبعوث لإحدى بناتها المسماة لاوسي، وما زاد من نباهة داك القوم أنهم وجدو رسالة مختومة بوشم القبيلة الثانية، واسم فرد منها يسمى كابسوجي وقد إعتبروها خيانة في حق سلالتهم النبيلة.

فلا يحق لأي قبيلة أن تتزوج إلا بما ينتسب اليها من أفراد، ومن يخرج عن هذا التقليد فإنه ينفى أو يعدم، وفي الغالب يصبح مذموماً في كل بقاع العالم، حينئذ إنتفت الحياة داخل مسرح الحرب، وقد نجى إثنين من أولئك القبائل، شاب عشريني من قبيلة راسبوقيتش يحمل وشم الخنجر وفتاة من قبيلة رازفيلوتيس ذات وشم الغمض، وقد إلتقيا صدفة وأحبى بعضهما بعضاً، آنذاك لم يكن هناك زواج بل وثيقة للشرف، من خلالها تصبح الفتاة في ملك الشاب ويصبح الشاب حصناً للفتاة، ومنهما تولدت باقي سلالات حتى الآن، وتلك الفتاة هي الجدة نفسها نيرمين، وهي من كتبت تلك الرسالة، وقد إختتمتها بقولة :

إن شرف المرء هو سبب عيشه، وعيشه لا يكتمل إلا بما يحب، وبما يكره، إنها أول فكرة تفلت من عقل إنسان عندما ينبغي عليه التفكير فيها بكل نباهة.

تم كتبت الجدة:

إن الذي يحب عن مظهر، دائماً ما يجد من الحب إلا طابعه الزائف، فلا هو يدوم ولا يكتفي إلا بتخريب كل النفوس من حوله، فصاحب الذوق السطحي لا يهم ما اذا كان بيتسم دوماً، ليظهر للعالم روحه الكريهة الكوميديّة، ليكسب بعض الناس في حياته البائسة، بل ما يهم حقاً أن يتخلى عن هاته السطحية ويعيش كما يعيش أقداد، مع طبيعة واحدة وصورة واحدة.

إن أول من أسّلتهم قوة الأوشام، قد أطلقَ عليها اسم فوكايدو خصوصاً وشمي الخنجر والغمض، لأن الخنجر لا يعني شيئاً دون غمضه، والغمض لا يعني شيئاً دون خنجره، وقليل من يعرف بهذا السر، وأولئك القلة هم سلاله النافعة نفسها.

وقد اختتمت الرسالة بإسم لربما إسمها الحقيقي:

كيستوان برانسي.

عندما إنتهت فولكاين من قراءة القصة، شعرت القشعريرة وحتى فاندوسكي بجانبها لم يدرك ما عليه القيام به فقال مباغتا المشهد الحزين في المسرحية:

إذن أنت من قبيلة فلان.... لقد ظننت أننا من قبيلة نفسها .

فأجابته فولكاين: نعم، وأنا أيضاً ظننتني من قبيلتكم وها قد إتضح الصورة يا فاندوسكي .

فنحن ننتمي لقبيلتين مختلفتين ولكن في أسرة داتها، فماذا ستفعل الآن ؟

فقال فاندوسكي: لربما أعود الى قصري، سأتابع نشر لوحات على موهبتي .

فولكاين: وماذا عني ؟ أسنتركني هنا !

فاندوسكي: بشيء من الخجل، لا كما في هاته القصة، ستعود بتحيا بنا، وسيتزوج فرد من قبيلتي بفرد من قبيلتك، وستعود الحرب لتنتهي كل أشواط وسيعيش راوي قصتنا يا عزيزتي..

فابتسمت فولكاين وقالت : يا لك من أحمق،لم يبقَ أحد من سلالتنا غيري أنا وأنتُ،هل تنتظر حرباً أخرى لننقرض يا أيها النمس البغيض.

قاندوسكي: لا يا عزيزتي،فأنتِ خلقتي لأجلي،ولن أدعك تنقرضين بسهولة،فلا داعي للخوف ...

فولكاين: أشعر أنك تمازحني أيها الحب،هذه الكوميديّة الدرامية لا تروق لي ابدا..

قاندوسكي: أتعلمين،منذ أن رأيتك،شعرت بشيء ما لم أره فيما مضو، رأيت إبتسامات الكادية،وأرواح الماكرة التي تصطنع السعادة وإبتسام دوماً،رأيت أكثر من اللازم،ولكني لم أرى قط فتاةً جميلةً مشاكسة بروح ساقطة ونظيفة،تسكب للثمالي ولا تشرب كأساً،تبتسم للقلّة ولا أحد يقدر عليها.إن هاته الروح ما يجدبني إليها إلا غرابتها وقد قيل أن الفقيد فقدَ فقيداً وما المفقودُ إلا قلبي يا فولكاين.

فولكاين: يا لك من مراوغ،أنتظن أنك بهاته الكلمات العسلية،ستجعلني أقع في حبك ؟

قاندوسكي: لا طبعاً ،ليس بعد،لست ممن يراوغ ليكسب شيئاً،فإما أن أكسب بشرف وإما أن أخسر بدون شرف.

فضحكت فولكاين: أول مرة منذ أن فقدت عائلتي أبتسم لشيءٍ سخيف قد يقال .

إنك أفتح كوميدي شاهدته هاته عينان الجميلتين يا قاندوسكي.

إقترب قاندوسكي من فولكاين وهو يمسك يديها الباردين وعيناها تشعان نوراً ويكاد يعترف بشيء ما فقال:

فولكاين ،فولكاين ...فولكاين...

فتجيب نعم يا قاندوسكي..

كل مرة يعيد قوله فولكاين

فقال بصوت خفيف وبطيء،كم أحب أن أستشعر تلك النغمة من إسمك حيث تطن في أدناي فلا أكاد أسمع إلا مقطوعة موسيقية غاية في الروعة .

فقال تانية: فولكاين... يا فولكاين... أجيبني...

فأجابته: ماذا يا فاندوسكي..؟

فاندوسكي: من أي أخرجتي يديك إنتنتين من جيب الثلاجة!

ضحكت فولكاين بصرخة مدوية تقول: ما هذا الحس الفكاهي، شعرت بك تكاد تقفز لما تقوله من شدة تفاهته، يداي كما هما فقد أخرجتهما لتو من جرابي الساخنين.

فاندوسكي: يه... هاتيهما يداي ساختنان أنظري.

فأمسك فاندوسكي يد فولكاين، ونظراتهما لبعضهما تتطان نطاً لفرحة لا تتسع إلا لإنتين. فقالت فولكاين محاولة قطع مشهد الرومنسية:

حسنا، ها قد أحسست بدفي، لا حاجة ليديك يا فاندوسكي! هل يمكنك رسمي أرجوك، سمعتك تقول أنك تجيد الرسم، وأنا بطبيعتي أحب هذه المواهب الضائعة!

فاندوسكي: اوه. حسنا سأنهض لأجد لي ورقة وبعض الفرشات التي أظنني لن أجدها هنا. ولكن سأحاول إيجادها من أجلك.

بعد بحث طويل، وجد فاندوسكي أقلاماً بدل فرشات وبعض الكتب القديمة ودفاتر المهترئة، وراح يرسم فولكاين، وكله حماسة في زيارة تلك الملامح من الجمال الناصع بالياقوت الطازج، فتنبه قبل أن ينهي رسمته لفكرة لم تخطر في باله قط:

فقال في نفسه: أوه أشعر أن هذا المشهد يعاد لي أكثر من مرة، وكل من أرسمهم يتركونني، أو أنهم يخونوني، فقد رسمت صديقي دعسول وقد مات، ورسمت فيوزيل الماكرة وقد خذعتني، وحتى سيرقاي نفسها التي كانت تدعي الطيبة والروح الكوميديّة تخلت عني. فهل أرسم فولكاين لتتركني كما فعل الباقي،...

لا لن أرسمها....

وقد انبثقت فكرة من عقله المبدع، ليرسم فولكاين ولكن بشيء متغير، فبذل أن يرسمها فقد رسم جدته وقال:

هذه اللوحة لك، إنها لجدتنا، فقد علمت مدى حبك لها، وهي مخصوصة لك، لألا نتعثرى عندما تشتاقين إليها، ولا تجدينها أمامك.

فابتسمت فولكاين ، وهي تعانق فاندوسكي وهمست في أذنه:

أراك شعرت بالخلج من رسمي أيها البائس، هل تراني غير جميلة، وتحاول إبعادي عن المشهد بإعطائي أشياء أحبها... المهم شكرًا لك هديتك لي رائعة كلون الزمرد على قلبك..

فاندوسكي: لا طبعاً، سأرسمك ولكن في وقت لاحق عندما أجد فرشاتي ولوحاتي.

كان فاندوسكي متخوفاً من ان يرسم فولكاين فتتركه كما فعل آخرون، وهذا ما جعل رسم يتحول من موهبة الى عقدة في نفسيته، وقد كسب بها الكثير وخسر كل شيء بفضلها.

فقلت فولكاين: أتعلم أنا أيضاً لدي موهبة، فأحزر ماهي !

فاندوسكي : اووه التلاعب بقلوب الشباب البرينيين مثلي .

فولكاين: هههه لا لالست بارعة في ذلك !

فاندوسكي: لا أجد توقع أشياء، فأخبريني بها ؛

فولكاين : لن أخبرك، حتى تحزرها !

فاندوسكي: حسنا.. لا يهمني..ماذا سأجني لو عرفت لاشيء. صداع لرأس...

فولكاين: يا لك من فاشل...أتعلم عن كتاب يسمى " الرصاصه " .

فاندوسكي: أوه نعم أعلم عن قليل، فقد سمعت عنه في أخبار، لصاحبه سوزان كورتوفكي، وقد إنشهر لطابعه الروائي وأسلوبها الفد في الحكى، وما تأثيره عن النساء، وقد سمته بإسم الرصاصه لتعني به المرأة الشرسة .

إبتسمت فولكاين :اوه أنت تعلم عنها الكثير ؛ لقد أفرحتني، فقد ظننتك جاهلاً، غافلاً عن هاته الأمور. ولكنك أخطأت يا عزيزي في تهجأت نسبها ليس كورتوفكي

وإنما بورتوفيكو..إسمها سوزان بورتوفيكو،ولكن إسمها الحقيقي هو فولكاين بورتوفيكو ولها كتاب ثاني بإسم النوارس " .

إبتهج فاندوسكي : إبن تلك أنت، اوووو كدتِ تخدعيني.مبروووك لأطفالك الجدد "رصاصة ونوارس".

فولكاين: شكر اااا لك ،أخجلتني أيها الغبي.

فاندوسكي: مهلاً ،كيف تكتبين كتب،وأنتِ تعملين في حانة؟

فولكاين : كيف ترسم وأنتِ دائع الديول في هذا العالم؟

فاندوسكي : أرسم في كل أوقات هههه حتى في الحمام تأتيني الرغبة في الرسم.
،ولا ينجلي إرهاقي إلا عندما أكتب.

فاندوسكي: اوه ،نحن مثل بعضنا ،ههههه

فولكاين: لا يا عزيزي،نحن مختلفان كإختلاف الليل والنهار،فأنتِ متشائم أبله،عبوس دائم تظلم الحياة على من حولك. أنا ساكبة إيجابية،تنير تلك الظلمة.

أتعلم يا فاندوسكي،أننا نحن الإناث لا يرهقنا سوى الكوميديين مهما كانوا تافهين،نحن نحب الشاب البشوش،الذي يبتسم دائماً ولو كان كاذباً،المهم أنك كوميدي مرموق يمكن له أن يزعم على إخراج تلك المآسي القبيحة من ذات مريضة بإبتسامه وبفعل تافه يقيمه الجميع على أنه كوميدية.

فاندوسكي: هذا يعني أن إناث منفعيات،يبحثن عن من يصلح لإزالة غبطة هاته الحياة عن قلوبهم البائسة،ولا حظ لنا نحن المتشائمون في ذلك أليس كذلك!

فولكاين: بلى،مع أنني فتاة،أقول أن الإناث لا يبحثن عن الحب كما يقال،بل يبحثن عن التفوق،عن التميز عن باقي جنسهم الحقير،فهل كنت ستجد فتاة تحب شخصاً بشعاً دون أن يملك المال،أو أنه مشهور،إن طبيعة الماكرة فينا يا عزيزي،لا تقهر،إنها دائماً ما تحاول التخفي وراء بعض اللحظات البريئة،وبعض الذموع الساقطة،أتعلم أن كل الإناث ساقطات،تلك أخلاق،وتلك النبالة الفضية،والقناعات اللطيفة والبساطة الزائفة وما الى ذلك.

كل هاته أشياء أنجبتها بطون هذا العصر، وطبعاً هؤلاء لا يصلحون لزواج، بقدر ما تجدهن في المقاهي، والحدائق، وأمتال الجامعات والمدارس الشادة، إنهن أغلاط بائسة لأحد من أثلتهم بشرابي، فلم يجد أمامه إلا بائسة حيث تؤلّد من رحمها هذا القدر الحقير من العناكب المشاكسة.

فاندوسكي: هههه أجدكي تشتمين النساء كرجل عانى من آلاف الخيانات ولم يبقى له سوى عزة نفسه!

قولكايين: الأمر لا يتوقف على من أكون وأي جنس أكونه، أنا فتاة، ولو وجدت نفسي في مكان أحسن وأنظف من هذا مستنقع فلن أكون هناك أبداً "حانة"، لقد أجبرتني الأحوال على أن أسكب ألف كأس لألف سكير، وكثير من يزيد عدد كؤوسه عن باقين. إن أولئك الحمقى الدين يرونني أسكب يلقبونني بالفجرة او العاهرة في مجتمعنا القبلي، فقط لأنني أسكب لعاجز قد هدمت مسارح نفسيته أمامه فلم يجد غير الحانة ليسكت باقي الهموم، فحتى من كانوا أصدقاءً لي ومن أقربهم في وقت بدوت فيها دون مأوى صاحو في العلن يسألونني " هل نعرفك! ومن أنت... حتى لو كانوا من الطبقة الوسطى، يتعاملون كأنهم وصلو لقمة سلم الحياة، وأنا في دنياها، فقد حاولت طلب المساعدة من هذا المجتمع المكفوف، وكلهم ما إن أخبرهم بحالي، ليرتمو عليّ بالمقابل، إنهم يودون المقابل لمساعدتي، وبالمختصر، يريدونني في السرير يا عزيزي فاندوسكي !

فاندوسكي: حقا، إن هؤلاء ليسو إلا كلاباً تركض خلف ديولها، ولا أخفي عنك أنني مثلك، عندما وقفت قبيلتي ضدي لمنعي من الرسم، عندما رأو ان موهبة الرسم ماهي إلا ما يفسد أي جماعة، بل كل موهبة يرونها كذلك، فقد وضعو لأنفسهم قوانين لآلا تتجب من بطونها إلا من يصلحون لها، بل من يعيش لها ويضحى في سبيلها، في سبيل قادتها الحمقى، إنهم يريدون شبابا يقولون نعم لكل شيء ولا يرفضون اي شيء، إنهم ينتجون كائنا مدلا يخاف من أجرته، فكيف لمجتمع أن يعيش دون أن ينتج المدللين والمنفعيين وأصحاب الذوق المنهار في الفن، فلكي يعيش المجتمع ويستمر عليه ان يخلق الثقافة، وأنت ترين كل تلك الكوميديّة الهزلية التي تقام على المسارح، تلك التي لا ترقى لذوق النبيل، والفاضل، إنهم يصادقون الشيطان على من سيحمل مشعل قتل الحضارة، ذون أن يُسبّلَ ذماءها.

فكثير من يمتنعون عن المساعدة وعندما يرونك في مكان دنيء، يتسارعون في التلقيب، كأنهم حكماء الكهوف الغابرة، أو لائنك الدين ينفتون حكمتهم ببلاش.

فولكاين: حسنا... حسناً.. لنقلب الصفحة، ونبدأ من الصفر معاً

أنت رسام بارع وأنا كاتبة، تتائي رائع .

فقلت في نفسها "أولا ينبغي أن ازيل تلك الغيمة سوداء عن عقل هذا أخرق دون أن يشعر، ليعود ذون ذلك تشاؤم، إن أضخم فعل تبدله لمن تحب أن تغير كيانه ألف درجة نحو الأعلى حيث تقبع الفضيلة، وكثير من يغيرونه وفقاً لحاجاتهم، بل يغيرونه ألف درجة نحو أسفل، وهناك تنتصب أسخط الصفات على إطلاق.

فقال فاندوسكي: لربما كانت كل إناث سيئات، ولكن فولكاين كانت أسوء من كسب قلبي بوقاحتها الجميلة.

وقد استمرت قصة حبهما، لحين عودت فاندوسكي وفولكاين الى المدينة، بعدما ألفو جو المزرعة وصفاء نسيمها الذي يطهر الذات من سمومها، وها قد أجبرو على العودة الى المدينة، مادمو قد أفلسو ولم يبقو إلا على الفواكه ليعيشو عليها، وقد تواعدا بالعودة الى المزرعة في كل عطلة أسبوع، وهاهما يعيشان معاً بحب أبدي يملأ قلوبهما، في قصرهما التاريخي، فهو يرسم اللوحات الجميلة لحبيبتة، ويضعها في متحفه الشخصي ومنه يجني آلاف الدلارات، وفولكاين تكتب الكتب وتنشرها من تم داع صيتها الى جانب فاندوسكي، وقد قيل عنهما أنهما الثنائي أعجوبة، وفي أخر رواية لها المسماة " بالأيتام " وفيها حكى عن حبيبها فاندوسكي، وأول مرة رأته فيها حيث تقول:

كنت أسكب الكحول لباقي الثمالي، ولكنه قاطعني وقال: لا تكثري من السكب فقد لن تحملان قدماي بعدها، فأسقط مخموراً نحو قلبك دون أن أسترد عافيتي من كل جرعة أخذتها من ملامحك"

وقد كتبت في الواجهة" الى أحب من في قلبي" فاندوسكي".

بفضل موهبتهما إنشعرا طويلا وقد لقب فاندوسكي متحفه الملىء باللوحات الجميلة بإسم فولكو تلميحاً لإسم حبيبته فولكاين، وقد إستمر كبار المشهورين في زيارة متحفه، وقد أخذت فولكاين جزءاً من المتحف لتبيع كتبها وتوقيعها.

للمعجبين، وقد كان فاندوسكي في تلك أثناء تصييه الغيرة لما كان المعجبين يحومون حولها، فلم تكن كاتبة رائعة بل من أجمل نساء المدينة.

وفي العاشرة من اليوم التالي، جاءت فكرة في عقل فاندوسكي ليقم حفلة رومانية لحبيبته فولكاين، وقد قام بشراء الزهور ودعوة بعض المزيين ليمثلو دور أصدقاء، قد تأتق لمرّة في حياته، ليطلب منها الزواج في أضخم موقف في حياته المملة، وقد جهز طعام بنفسه وجلس على طاولة ينتظر فولكاين في قصره الفخم، عندما تجيء من متحفه في وسط المدينة، ولكنه ظل جالساً لساعات، ينتظرها وفي كل مرة يقول " ستدخل فتاتي....ستدخل فتاتي....

لكنها لم تأتي، حتى غفى فاندوسكي على الطاولة بجانب الطعام، الى أن سمع ضجيج السيارات تتناقر خارج قصره، في صباح باكر، حيث إستيقظ على ضجيجها، وقد أدرك فاندوسكي أن فولكاين لم تحضر الى القصر ليلة البارحة، حينها شعر بالخوف والقلق المميت، فقد قام مرتعباً وكل فكرة شريرة كانت لتأخذ نزهة داخل عقله وقلبه الهش، فلحظة دخلت فولكاين متعبة تقول:

أسفة يا فاندوسكي، فقد نمت داخل المتحف، أثناء كتابتي لروايتي القادمة، فهل أنت قلق مني؟

فأسرع فاندوسكي إليها خائفاً ومعانفاً إياها يقول:

أيتها الحمقاء، ألم تري كم ساعة ظللت تكتبين فيها، لقد قلقت عليك .

فابتسمت فولكاين: لا تخف فأنا معك يا حبيبي، أوه تلك الطاولة كانت لأجلي وتلك الزهور؛ أكانت هاته الحفلة لي أم ماذا؟

فاندوسكي: ربما، لقد أقمتها لأشكرك لما قُمت به من أجلي، فقد تفوقت عن تشاؤمي، وابتعدت عن غيمة المضببة بفضلك أيتها الجميلة!

فولكاين: العفو يا عزيزي، فأنت من تفوق، ولكنك كنت تحتاج لشخص يفهمك ويحس بك وها قد وجدته هههه ..

وعانقته فولكاين بكل قوة، وجلسا يتناولان الفطور، فقال فاندوسكي: هل تفكرين فيما أفكر فيه يا فولكاين؟

فولكاين: ماذا؟ لم أفهم!

نهض فاندوسكي من فوق الطاولة وفولكاين مستغربة من فعله، فركع أمامها، وهو يخرج شيئاً من جيبه الخلفي، مهلاً إنه خاتم، فيقول:

حبيبتي فولكاين لقد صبرت كثيراً حتى اليوم، وتأخرك ذلك وما شعرت به نحوك قد أعاد بناء نظرتي إليك، فهل تقبلين الزواج بهذا الفنان أحرق أيتها الجميلة؟
إبتسمت فولكاين: لا أقبل بك، ولكن سأقبل بأن أتزوجك أيها البائس.

فقام فاندوسكي بإلباس الخاتم لفولكاين، وعانقا بعضهما في سعادة غامرة متوجة

بالسحر. وقد خططا لزواج في الغد، وهذا ما حدث، فقد تزوجا الفنانين في متحفهما وقد قيل عنه أنه متحف يليق بما يحملانه في قلوبهما الطيبان، وقد عاشا في قصرهما مع شهرة تفوق سحب أطيافاً، حيث بدى أنهما ينتظران مولوداً جديداً، وفي يوم ما عادت فولكاين الى القصر مبكرة من متحفهما، حيث تركت فاندوسكي يفهم الزائرين لوحاته، وقد كان متحفه لا يغلق إلا اذا بلغ من اليوم نهايته على السادسة مساءً، حينئذ كان فاندوسكي متوتراً، بل متحمساً لموعده الغرامي الأول مع حبيبته فولكاين داخل القصر، وقد حانت نوبتها في إقامة الموعد وذاك ما جعلها تُبكر في ترك المتحف، وعاد فاندوسكي متفاخراً الى قصره، حيث كان يظن أن فولكاين تنتظر للعشاء، لهذا الموعد الرومنسي، حيث طرق الباب، ولكن لا أحد يفتح، بل وجد الباب مفتوحاً، ولكنه ظن أنها إحدى مراحل الموعد المشوقة، ولكنه صدم لما رأى بل جمدت قدماه لرؤيته لجنّة منكبة على طاولة، إنها لفولكاين، ولربما كانت تمزح معه، أو أنه أحد مقالبيها لتقيس مدى حبه لها؛ وقد أسرع متهوراً نحوها، والخوف ينتشي من أعماقه، يحركها ويقول: مالك يا فولكاين... فولكاين تكلمي.... أنتِ تخذ عيني أليس كذلك...

أرجو ووك يا حبيبتي أجيبني، إنك تقلقيني بأعباك السخيفة.

وفجأة دخلت الشرطة يسرعون في القبض على فاندوسكي، بتهمة قتل زوجته فولكاين، فقال أحدهم :

يا سيدي إنه القاتل ،لقد رأيته يخنقها بيديه إنتنين!

فوقف فاندوسكي مجمداً لما رآه،لقد تحجرت نفسيته ولم يدرك ما وقع فيه من مأزق،فوقعت عيناه على الشاهد الذي تكلم بعدئذ إنه صديقنا الخادم المخلص الذي ترك له فاندوسكي القصر حينما غادر الى المزرعة.

وقد ألقى القبض على فاندوسكي بتهمة قتل زوجته وهاهو دا في السجن ينتظر الجلسة أولى لمحاكمته ومن تم إقرار ببراءته او بإدانتته بعد تشريح الجثة،ولكن فاندوسكي لم يهمه ما الحكم الذي سيعاقب به،فقد ظل يتمتم بإسم فولكاين وملاحه ثابتة على العبوس،ومتجمدة كجثة مقتولة لأشهر،وقد قيل في محضر لشرطة أنه يظل يتحدث لوحده مع حائط في تلك الزنزانة التي يقطن فيها،إنه في كل ليلة يصرخ بإسم فولكاين...لماذا تأخرتي ثانية.....

وفي كل يوم يأتيه خادمه الأمين ليطمئن عن حاله،بل ليستهزء لما وصل إليه حيث قال له:

أهلا سيدي،ألم تمت بعد،ظننتك مئت ،بعدماً قتلت فولكاين في نوبتك من الغضب.هل تذكر عندما كنت تعاملني ككلبك،بل تجعلني عبداً تصرخ في وجهي متى أردت،كنت رداءً ممزقاً تمسح به كل أوساخك،وغضبك وها أنت الآن تعاقب لما كنت ترتكبه في حقي أيها البائس،والآن قصرك لي و حتى متحفك سأبيعه للأجانب بالكثير من المال وسأغدو ثرياً أكثر منك.

فوقف فاندوسكي داخل زنزانتته يمسك بالقضبان وهو يقول:

أنت من قتل حبيبتي فولكاين! أيها الوغد سأقتلك...

وظل يصرخ حتى الصباح،وفي كل يوم يقول فاندوسكي للحارس:

صديقي كيف هي فولكاين! فيجيبه الحارس : إنها بخير يا صديقي..

وقد تم إعلان في المحاكمة على إخلاء سبيل فاندوسكي، لما هو في حالة يرثى لها، بل حكمو عليه بالدخول مستشفى أمراض العقلية ليتعالج، فقد أصابه الجنون عندما رأى جثة فولكاين حبيبته الوحيدة. ومن ثم أظلمت عيناه وتدمرت نفسيته، وتبدل حاله حينئذ. فراح كل يوم يرسم بطبشور في كل مكان يزوره زنزانته وجدرانها المظلمة بطبشوره أبيض يبعث على السحر حيث توقظ رسمته كل السجناء، فقد رسم زوجته على إحدى جدرانه وراح ينام بجانبه، حتى يوم محاكمته، فقد كانت المحاكمة سارية، وهو مستغرق في رسمها على الطاولة أمامه حيث يجلس المتهمين، وقد قيل أنه جنّ ثم قتل حبيبته بالخطأ، والبعض قال أنه عندما نافسته في شهرة قتلها ليأخذها لنفسه. وما إنتشر خلال المحاكمة، أنه قد رآها تتأخر فضنها تخونه وقد إحتدم الصراع بينهما حتى أوصل الى الخناق، فماتت فولكاين وهي تحاول إفلات من قبضة هذا الوحش المسمى بفاندوسكي، وهذا القول قد أوصله خادم فاندوسكي وهو من أوشى به لصحافة حتى أصبحت قضيته على كل لسان وكل ينتج له حدثاً يبرر به جريمة فاندوسكي.

وقد إنتهت محاكمة فاندوسكي المجنون، وتقرر أن يسجن الى أن يتم موعد محاكمته للمرة الثانية لتقرير مصيره نهائي. وفي تلك أثناء ستزوره طبيببة نفسية لمعالجته والتخفيف من حالته السيئة. وقد قيل أنهم سيحاولون نقله الى مستشفى أمراض العقلية لبضعة أيام الى أن يشفى ليكمل محاكمته، ولكن المثير لشكوك أنهم لم يظهرو ما إذا كانت فولكاين قد ماتت مقتولة من خلال الخنق أم سم أكلته في الطعام، وقد قال الخادم في زيارته الأخيرة لفاندوسكي وهو في سجن أي قبل المحاكمة " لن تعيش إلا داخل هذا السجن، فقد رشوت كل من يفكر في أنفادك يا عزيزي، وبعد شهر ستعلق القضية " .

ومن تم علم فاندوسكي أنه لا خيار له سوى مقاومة، فهو محكوم حتماً، ولو لم يفعل شيء، وقد أجمع على الثأر لموت حبيبته فولكاين مهما كان الثمن، ومن تم ليفعل ما يشاء. وفي نهاية أسبوع، وقد ظهر على فاندوسكي أنه قد تعالج من الصدمة، بل ما عاد مجنوناً، ولكنه ظل يمثل ليخرج من السجن، وقد قال :

سأظل مجنوناً حتى أأثر لحبيبتني، فالجنون في الفداء حب عظيم.

وها قد أتى اليوم الموعد، حيث أتت سيارة مستشفى لأخذ فاندوسكي الى المعالج النفسي، وفي الطريق إنفك فاندوسكي من قيوده الحبسية وزيه أبيض المكفوف ونط من السيارة كالقرد تماماً، ومن تم توجه نحو قصره حيث يوجد خادمه البائس، فدخل عليه فاندوسكي محملاً بالغبار والوسخ وشيء من الغضب والحقد، فوجده في الحمام يستحم، فقال له فاندوسكي:

هل تحتاج شيئاً يا سيدي ؟

فقال الخادم : لا أيها العبد لا أحتاج شيئاً. إذهب وأحضر لي كأساً من النبيذ الغالي.
فقال فاندوسكي : أمرك سيدي.

فقال الخادم: مهلاً، فأنا لم أوظف خادماً بعد...

فتوجه نحوه فاندوسكي ماسكاً حبل سميك، وعندما لمح الخادم إرتعب، وراح يصيح كالديك فَقَدَ صَوْتَهُ عند الفجر، حينها بدأ الخادم يطالب بالعفو والصَّفْح من فاندوسكي، ولكن دون فائدة، فقال الخادم وهو يحاول النجاة من الحبل العالق في رقبته:

سأخبرك الحقيقة عن حبيبتيك ! لا تقتلني ارجوك!

فوقف فاندوسكي ليسمع الحقيقة، وهنا راح الخادم يحكي تفاصيل الجريمة ، حيث قال: لا توجد جريمة، أنت وقعت في فخٍ قد نشبته زوجته الجميلة لك، بمساعدة مني. فهي لا تزال على قيد الحياة، وقد خدعتك لتسحب منك كل ثروتك وقد إخترت كل هاته المسرحية لتنتهي بك في السجن، وحتى أوشام والجدة كل تلك خدع ركبناها سوياً لتظهر كما ظهرت، ولكي تتأكد مما أقول، ستجدها في الحانة التي رأيتها فيها للمرة أولى ، فأرعى فاندوسكي الحبل على رقبة خادمه حتى ظن خادمه أنه نجى، فأحتدمت قبضتاً فاندوسكي على الحبل من شدة الغضب وخنق خادمه حتى الموت، فترك القصر وخرج مسرعاً الى الحانة، ليتأكد من كلام خادمه الغدار، وعندما وصل وجدها تلاعب عجوزاً في الثمانين من عمره دو رأس فارغ من الشعر أشيب، لا تحمله إلا عصى تبدو كأنها عصى من الذهب الأصفر، فعندما رآته فولكاين أسرعت نحو الباب الخلفي للحانة هاربة منه، وقد أسرع في ملاحقتها، فأمسكها في المخرج وقال :

أهذه أنتِ يا فولكاين ؟ أرجوكِ أخبريني بالحقيقة...إبتسمت فولكاين وقالت:

زوجي هذا أنت؟ لماذا لم تبقى في المنزل لقد كنتُ قادمة اليك ، عزيزي!

فغضب فاندوسكي صارخا في وجهها يقول:

أريد الحقيقة،وأنا أعلم بها لدى لا تكذبي،فلقد قال الخادم كل شيء.

إرتبكت المسكينة فولكاين؛ وقالت: نعم انا على قيد الحياة،وقد أوقعتك لأنهب ثروتك،ولم يهمني قط أن ابدو على ما بدوت لك.هذه هي الحقيقة،وقد تأمرت مع خادمك لنوقعك في هذا الفخ وتُسجن الى الأبد،وننعم سويا بالثروة .

فاندوسكي: إذا لماذا عُدتي الى هنا،مادمتِ تمتلكين الثروة!

فولكاين: الثروة ليست كل شيء في الحياة عزيزي،هناك المتعة،تلك التي يقدمها لي هؤلاء الرجال الحمقى.

فاندوسكي: يا لك من ساقطة،هل تحبين خادمي داك ؟

فولكاين: لا ولكنه بدى رجلا،فقد خنتك معه آلاف المرات عندما كنت أخبرك بأني أتأخر في المتحف،فإنه يكون بصحبتني هناك.

فاندوسكي: اوه ،يا لصراحتك،لا يمكن أبداً أن نطهر عاهرة من عهرها ولا خائنة من خيانتها حتى وإن أعدها لذلك البطن الذي ولدتُ منه،ستظل ترغب بما هي فيه.

فأمسكها فاندوسكي محاولا قتلها،واضعا يديه على عنقها،ولكنها نجت،حين ضربت فاندوسكي على رأسه بقنينة من الكحول،وفرت هاربة خارج الحانة،وعندما واصل الجري وراءها،وبالصدفة،تعرضت لحدث سير،حيث كانت فولكاين تنظر الى الخلف خوفاً من فاندوسكي وكانت الشاحنة الكبيرة تسرع في الطريق العام،فدخلت أحداث في بعضها وماتت فولكاين في نفس اللحظة التي وقعت فيها على أرض،وعندما وصل إليها فاندوسكي وجدها غارقة في دماءها ،فحمل نفسه و غادر نحو المجهول،وفي طريقه يتكلم ويقول: ماذا فعلت لهم؟ لماذا أنا؟ لماذا هذا الحظ العاثر؟ ألسنت إنساناً! .

فتوجه في نهاية الأمر نحو مركز الشرطة، مسلماً نفسه، معترفاً بكل جرائمه، حيث سلمهم سلاح الجريمة "الحبل"، وقد أدين فاندوسكي بتهمتي القتل العمد، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام بعد عشرة أيام "وفي تلك اللحظات لم يكف قط عن الرسم، لقد رسم عشرين لوحة في يوم واحد، لم ترف له عين بل لم يتعبه إلا المساء بمجيئه متأخراً ككل يوم. وفي كل جلسة يحاول البعض تخفيف حكم إعدام بقولهم أن فاندوسكي مختل عقلياً، ولكن فاندوسكي يرسل برقية للقاضي في كل جلسة يخبره: أنا لست مختلاً سيدي قاضي، قتلتهم لأخذ بثأري، فكما أنهما عوقبا، فأنا أيضاً أطالب بعقابي، إن إنسان خلق ليعاقب في كل لحظة يقضيها في هاته الحياة فإنه يعاقب بشيء ما لأجل تلك اللحظات البائسة.

وقد خلصت محاكمة فاندوسكي لإعدامه، ولكن سرعان ما تبين أنه جنٌّ ولدى تغيير الحكم، وتقرر وضعه في مصحة عقلية، قيل أنه قتل ليس بدافع الثأر بل لأنه مجنون، والمجنون سره في جيبه، وخلال عيشه في المصحة، وفي ليلة قاتمة، وعندما نام كل الحراس، تسلل بين أصدقاءه وأخرج فاندوسكي حبله السحري، وراح يعلق كل المجانين هناك في عمود للإضاءة، حيث أنه كان يغريهم بشوكولاتة لذيذة ليلعبو معه اللعبة غميضة في منتصف الليل، وكل من حضر ليغمض علقه حتى الموت في ذلك العمود؛ وكلما أغمض أحدهم سارع آخرون في الإختباء، وفي كل مرة يجدون شخصاً معلقاً على العمود، إلا أنهم إستمرو في اللعب الى أن إنتهوا جميعاً، وفي الصباح وجد أطباء ان نصف المجانين داخل المستشفى قد إختفوا، وراحو يبحثون عنهم، إلا أنهم وجدوهم خلف المستشفى معلقين في عمود، كأنهم منتحرين جميعاً، ومن بينهم فاندوسكي، ولكن المثير أن كل المجانين الدين ماتو أو قتلو كانوا يبتسمون ما عدا واحدٌ منهم حيث ظهرت على وجهه آثار البكاء، وقد قيل أنه كان حارس الذي يحرسهم بالليل وهذا هو تفسير بكاءه، فالعاقل من يبكي عندما يجبر على إنتزاع شيء منه وخصوصاً الحياة، وقد دفن جميع المجانين بجانب بعضهم إلا فاندوسكي، دفنوه مع أولئك الحمقى الذين قتلهم. وقد وجدو في جيبه ورقة مكتوب عليها

"على إنسان أن يعيش وحده، ويموت ومع الجميع".

إن إيمان أعمى بكلام سافل لا يجعلك إنسان الطيب، بل إنسان المدلل المطيع، الذي يوجد تحت أكعاب كل الناس، دون كرامة ودون عزة نفس وبفضيلة مزيفة مصنوعة من الكريمة الذائبة."

وقد بقيت لوحاته معلقة في متحفه، ليوم إنتشر فيه خبر أن تلك اللوحات تحمل حظ فاندوسكي المشؤوم، وقد تم إحراقها جميعها، وأحرقو المتحف بما فيه، وأعادو بناء مسكن للموتى مكانه " مقبرة" ..

إن أفضل من يُجيزون تحطيم الأحلام، أو لأنك الذين يَنَامُونَ بِرَوِيَّةٍ تَحْتَ أَمَالِهِمْ فِي الصُّعُودِ إِلَى الْقِمَّةِ، بِتَسْلُقِ إِحْبَابَهُمْ وَتَتَمَرَّهْمُ عَلَى كُلِّ الْمُبْدَعِينَ. إنهم يرون في كل طموح لقمة صائغة لجهازهم الهضمي الذي خربه المجتمع فيهم.

الفصل الخامس :

ما بعد الموت : خَطيئة العَودة

"الموت ليس النهاية "

مات فاندوسكي معلقاً نَفْسُهُ مع بآيٍ إخوته داخل المصححة، وهذه الخبر المريع قد إنتشر في العالم، ولكنها لم تكن نهاية القصة أبداً ،بل القصة لتزال في البدء ،فقد كانت لتكون كباقي القصص التي تنتهي بموت البطل ولكن بفضل الخاتم الذي أخذه فاندوسكي من العجوز أنذاك، والذي به ينتقل المرؤ بعد الوفاة إلى العالم الذي يتماشى مع مصيره ،فإن كان شخصاً مستقيماً يذهب به القدر إلى عالم راكلوس، يعيشون فيه الى الأبد. وعالم تاني يسمونه عالم الحرمية، ويرمى فيه كل وغد يضع قدميه على أرض ليست له، إنها أرض المحتالين ،وباقى النشألين.

وعالم الثالث هو عالم المحيطين الذي لا يجنون لأنفسهم التنفس ليعبرو عن ما يخط أرواحهم البريئة. والعالم الرابع والذي ولد فيه فاندوسكي من جديد ،ويطلق عليه فوكايدو، إن السلالات التي وجدها فاندوسكي متقصصة إسم هذا العالم كانت تصنف نفسها كمبدعين من خلال رسمهم على تلك أحجار ،وقد إنتقل فاندوسكي الى ذلك العالم بعد وفاته..

وفجأة وقف فاندوسكي متفاجئاً بما حدث، فقد وجد نفسه وسط كومة من الشجيرات الصيبانية، يرتدي أفخم الثياب وأروعها ،فقال في نفسه:

ماذا حدث ألم أمث مع أولائك الحمقى ؟ أوه لربما هذا كابوس من كوابيسي البالية التي أنجبها عقلي الباطني ليخيفني...مهلاً أين أنا؟

فقد حاول فاندوسكي تذكر ما حدث إلا أنه تذكر فقط تلك أفسوحة التي تقاسمها مع أولئك المجانين. مع قليل من الذكريات الباهتة. كأن بانتقاله الى هذا العالم تخلص من حقه وكل بؤسه وهذا لم يتأتى له إلا من خلال الفنّ.

إن الفنّ علاجٌ نفسي لذواتٍ إستمر العفن في التطفح على رقبتها نون أن يسمح لها بالتطور ولا بالإنهياري تمام إنهياري . إنه كلمحة من الربيع تسقط على رأس شجرة على وشك الإنذار .

فخرج فاندوسكي يقب على أحد، ليتأكد من حقيقة ما وقع فيه، فالأحلام قلما نجد فيها أشخاصاً يشاركوننا فيها وفجأة لمح أن الجو غير معتاد، أشجارٌ أكثرُ خضراً و سماءً ملاً بالغيوم الزهرية تطفو مع أسراب من الطيور المختلفة من كل نوع، إنها طيور نادرة ومبهرة حقاً، تختلف عن أرض بخمسون مليون سنة ضوئية، إنها حقاً أصفى من أنهار وأنقى من كل البحار، وللحظة لمح فاندوسكي شاباً في العشرينيات من عمره يقف عند نهرٍ يتسرب من أعلى أحد الجبال، وهو ينأمل منظره المعاكس في الماء. فاقترب منه فاندوسكي بشيء من الحذر يهمس في أجواء قائلاً: يا فتى يا فتى.....!

فلم يلتفت إليه، ومما زاد من تخوف فاندوسكي علمه أن الحديث الى شخص يرفض إلتفات كنبش موطن نحل ثائر. وفجأة إلتفت الفتى وقال : لقد كان صوتك مرتفعاً ألا تعلم أننا في هذا العالم نتحدث بصوت منخفض . وغالبا لا نتحدث ندع أقلامنا من تتحدث نيابة عنا!

إبتسم فاندوسكي قائلاً : عفوا لم أكن أعلم هذا ، فأنا زائر جديد. فأرجوك أخبرني أين أنا وما هذا المكان ، إنني أحسست بولادتي من جديد أفضل مما كنت عليه .

إبتسم الفتى وقال: ينادونني كاسرو ، أنت ربماً فاندوسكي ، ألسنت على صواب ؟
أجابه فاندوسكي: بلى أنا هو!

فقال كاسرو: قبل أن تسأل سأجيبك ؛ إن كل مختارٍ يرسلُ الى هذا العالم بعد وفاته ، فقد ترسلُ قبلاً مرسولاً يحملُ إسم الشخص الذي سيزورنا وسيكون واحداً مناً، فهذا العالم ينادونه عالم الكلارزسيون ينتقل إليه كل مبدع على وجه الأرض بعد وفاتهم، في سن صغيرةٍ ومن يخالف قوانين هذا العالم ينقى الى أرض .

يقولون أنها أرض من السحر يتولد من أعماقها، فيخضر عقل الناضجين، وينجلي إبداع من ذواتهم ملتفةً في أجواء. إنه أرض ينفي إليها المبدعون حيث يجنون أنفسهم ومن يشابههم، واقفين على حافة إستقبال ليتلقوا معزوفة الميلاذ الذي أوجده في مخيلتهم.

فراح فاندوسكي يصرخ : لقد تخلصت من الخطيئة ،لقد عدتُ إنساناً جديداً على وشك الولادة... هذا أنا فاندوسكي الشاب ذو الحظ الباهر...

فقاطعه كاسرو يقول: لا تفرح يا عزيزي، إن إنسان الذي يجيئ الى هنا، وإنفى شرط من بقاءه هنا، لعاد لأرضه محملاً بأسوء ما فيه، بل ما كان فيه عندما نفي الى هذا العالم.

فقال فاندوسكي : فهمتُ، هل لك أن تقول لي ماهي قوانين هذا العالم ؟

فقال كاسرو وهما يتوجهان الى مكان ما: هناك عشرون قانوناً، أربعة منهم للجدد والباقي للأسلاف ،، فعشرة للذكور والعشرة الأخرى للإناث. وسأقولهم لك الآن لألا تخجلني أمام أباينا ..:

الشرط الأول: أن هذا العالم النقي، يستحيل تلويثه، والفاعل يُنقى ولو عن طرق الخطأ. ويُحاسبُ بانتزاع موهبته منه، فهذا العالم شاسعٌ وكل كوكب فيه له قوانينه وسكانه فقد تجذ كوكب الموسيقىار للموسيقيين البارعين والراقصين. وكوكب الكوميديين وآخر للكتاب والنحاتين وأخيراً كوكبنا هذا الذي نطلق عليه إسم كوكب فوكايدوا وستختلق العذر لتسألني لماذا سمي بهذا الإسم ؟ فأنا حتى لا أعلم لماذا ، لأنه سؤال محرم ومن بين ما يطرد الكثير بسببه.

الشرط الثاني: عيشك هو فنكُ، وخارج الفن يعتبر خطيئة .

الشرط الثالث :الحديث الى التيساءِ بدعوى التشاور في أعمال أدبية ،ونظرة سافلة قد تكلفك الكثير..

الشرط الرابع : إننا على هذا الكوكب إخوة مهما كبرت المسافات فإبداع يجمعنا

الشرط الخامس: يولد الفن النقي من نية خالصة، وعندما تكون هناك نية خالصة توجد الفضيلة... وإن سابت غرائزك فور إنتفاضها ينفي صاحبها مع أغلال يكبلونه باقي العمر .

الشرط السادس : يوجد في كل مكان، موقف نقف أمام أنفسنا لمحاسبتها في شتى ما قد تفعل.. وهذا الكوكب يشهد على عدلنا لأنفسنا ...

الشرط السابع: كل فتاة تراها، قد تكلفك آلاف الأميال الضوئية للعودة الى عالمك، فأحسن إختيار رغباتك، فقليلة منها التي تصلح للعيش كما يتطلب العيش نفسه..

فقال كاسرو : تلك الشروط الأربعة سيقولها الحكماء، إحفظ هاته وعندما سيجدون الفرصة سيخبروننا جميعاً...

وواصلو السير نحو مدينة تقع على ظهر الجبال يحوم من حولها آلاف الأشجار الملونة المثمرة وفجأة وقف قائدوسكي مع كاسرو وسط مدرج مليئ بالناس، كأنهم جمهور يشجعون أحد الفرق على وشك بداية شوطها الحاسم. فيصرخون بالقول: إنه المحترار... يعيش المُختار...

إبتسم قائدوسكي وكله حماس، يتماشى مع قلوب الجماهير وصياحهم، لكنه لم يدرك ما الذي سيكونه بعد كل ذاك الهتاف.

فقال كاسرو : هل أدركت لما إختاروك بالضبط من بين آلاف الرسامين البارعين وأحضرورك الى هنا.

فقال قائدوسكي متسائلاً: طبعاً لحرفيتي في الرسم يا عزيزي.

إبتسم كاسرو قال: لا أظن، أظن كل هؤلاء الجماهير قد أختيرو من أجل رسمهم فقط، فالبعض أختيرو ليجتازو مئصلة الخطيئة...

رد قائدوسكي : ماذا قلت ؟ مئصلة الخطيئة ! ماذا تعني؟

رد كاسرو: إنها حيت يكفر كل مذنب عن خطيئته ليعود لما كان عليه صفحة بيضاء كما ولد من قبل.

أرتعب فاندوسكي قائلاً: إذن قل لي هل أنا بين الجنة والجحيم ، أم أن المسرحية تشبه الحساب ليس إلا ؟ هل منصلة كتلك التي نعرفها جميعاً، تلك التي تفصل الرأس عن باقي إخوته أعضاء؟

أجابه كاسرو: تقريباً، الحساب ضروري لتعيد صنع المجد . المنصلة من نوع آخر هذه، إنها تخص الأرواح وتتكلف بها أرواح ، عكس التي تعرف أنت ..

أخذ فوولس يتراجع من الهول، بحذر يحاول الهرب إلا أن المذرج قد أغلق في وجهه ، فسمع صوت الجماهير تنادي بإسم " أطلقو وحش لاغوراييس... أطلقو وحش لاغوراييس ... نريد المعركة....

فتذكر فاندوسكي الطفل الذي ناداه بإسم لاغوراييس . فابتسم ساخراً على الوضع الذي وجد فيه تم قال:

إن ما يسكت رفق المرء مشاهدته لمعركة دامية تنسف كل مشاعره . فتأسر عاطفته ثم تحررها بقوة عدوانية تنتهي بإثارة مبهجة لخاسر بائس...

فتفتح قفص من إحدى حجرات المذرج فخرج صوت كنباح الكلاب ، يستبق صاحبه فإذا بفاندوسكي يرتعب يحاول الفرار من مصدر الصوت . ولكنه يفشل في إيجاد المخرج ثم جلس وسط الساحة يحدث نفسه قائلاً: إنتهى مصيري في المقبرة وها أنذا أعتاده مرة أخرى بشيء من الضجر المتعب في إعادة مشاهدة نفس الشقاء ونفس الألم.. فعلى إنسان أن يتقبل مصيره بكل روح متفانية .

فخرج مخلوق ضخم و مرعبٌ من بين الأقفاص مربوطاً بسلاسل ذهبية كإمرأة هندية تزيينة لتريح نفسها من المماطلة أمام البشعين ذو العينين كبيرتان حمرواتان، وأنيايه كالمنشار، إنه ذئب مختلط بفك تمساح مقترس، فأنقش لون فاندوسكي وقال: إنني هالك لا محالة، فأنا أول مخلوق يهلك مرتين.

فطار إليه غرابٌ كان يطفو فوقه حاملاً له رسالة ، إلا أن فاندوسكي أخرق لم يعلم بهذا الأمر إلا بعد أن حاول ضرب الغراب لما يحمله من شؤم في رأيه، ففك الغراب الرسالة من رجليه وسقطت فوق رأس فاندوسكي وقرأ ما قيل: إن ما تراه ، هو نفسه ، ذاتك تلك التي تركتها تحاول النجاة من الموت، فأني زائر ممن

أَتَوْ كَانُو يِرُون فِي وَحْش لَآغُورَايِس أَنفَسَهُم بَلْ إِنَّهُم هُوَ بِشَكْل يَتَخِيلُونَهُ عَن أَنفَسَهُمْ..... رِسَالَةٌ مِّنْ كَاسِرُو .

تَوَجَّهَ قَانَدُوسِكِي نَحْوَ الْجَمَاهِيرِ يَحْمَسُهَا وَيَعِدُّهَا بِعَرَضٍ لَمْ يَشْهَدْهُ أَحَدٌ قَطُّ. وَلَكِنِ الْوَحْشُ ظَلَّ يِرَاقِبُ قَانَدُوسِكِي يَتَفَاخِرُ، فَيَقْتَرِبُ مِنْهُ فَجَاءَهُ وَذُونَ سَابِقٍ إِذْ بَرَّحُوا وَفَجَأَهُ قَالِ قَانَدُوسِكِي: لَنْ تَخِيفَنِي فَاِنَا أَعْلَمُ مِنْ تَكُونِ! أَنْتَ أَنَا وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنفُسَنَا، لَدَى لَا دَاعِي لِلْعِرَاقِ حَسَنًا...

زَمَجَرَ الْوَحْشُ لَآغُورَايِس، تَمَّ قَالِ: أَتُظَنُّنَا نَلْعَبُ مَعَكَ يَا طِفْلِي.. هَاتِهِ الْخَدْعَةَ قَدْ إِنِطَلَّتْ عَلَيَّ جَيْلٌ كَامِلٌ مِّنْ أَغْبِيَاءٍ لَوْ قَتَلْتُ كُنْتُ أَشْعَرُ أَنْنِي مَتَحَمٌ وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَيَّ أَكُلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَاتْرَكْتُهُمْ يَتَسَلُّونَ بِغَبَاءِهِمْ، وَلَكِنِ حَظُّكَ الْتَعْيِيسُ، قَدْ وَجَدَنِي جَائِعًا لِلْغَايَةِ أَحْتَاكِ لِمَنْ يَسِدُّ رَمْقِي وَهَا أَنْتَ ذَا يَا عَزِيزِي. أَنْذَاكَ هَاجَمَهُ الْوَحْشُ، وَلَكِنِ قَانَدُوسِكِي يَظُنُّهَا حَيْلَةً لَيْسَ مَحْذُومٌ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، وَيَخْتَبِرُ وَشَجَاعَتَهُ، وَبِتَالِي يَكُونُ جَذِيرًا بِإِنْتِمَائِهِ إِلَى سَلَالَتِهِمُ الْمَرْمُوقَةِ. وَعِنْدَمَا رَأَى أُنْيَابَهُ مَكْشُورَةً عَن نَفْسِهِ أَدْرَكَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ بَلَاءٍ، فَتَلَاكَ لَيْسَتْ مَزْحَةٌ بَلْ مَعْرَكَةٌ دَامِيَّةٌ. وَبَيْنَمَا الْوَحْشُ يَلْحَقُ قَانَدُوسِكِي وَهُوَ يَسْرَعُ فِي الْهَرَبِ كَفَارًا لَمْ تَلْتَقِطْهُ مَخَالِبُ قَطِّهِ الْعَزِيزِ، فَفَكَّرَ فِي حَلِّ يَخْرُجُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَبِفَضْلِ دِهَاءِهِ وَمَكْرِهِ، فَفَكَّرَ فِي إِبْرَازِ قُدْرَتِهِ إِبْدَاعِيَّةً لِأَحَدِ الْحُكَمَاءِ لِيُنْفِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ مِنَ الْوُجُودِ. فَقَالَ قَانَدُوسِكِي صَارِخًا فِي وَجْهِ الْوَحْشِ صَامِدًا يِرْتَعَشُ: لَدَيْ حَلٍّ يَرْضِينَا ذُونَ مَعْرَكَةٍ. وَذُونَ أَنْ تَنْسِفَ الذَّمَّ سَدًّا... تَوَقَّفَ الْوَحْشُ يَنْتَظِرُ قَانَدُوسِكِي لِيَكْمَلَ حَدِيثَهُ ثُمَّ يَلْتَمَهُ فِي قَضْمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَمِنْ فَمِّ شِدَّةٍ جُوعِهِ تَنَازَرَتْ قَطْرَاتُ لَعَابِهِ وَهُوَ يَلْحَقُ قَانَدُوسِكِي وَعِنْدَمَا بَدَى لَهُ وَاقِفًا لَا يَحْرُكُ سَاكِنًا فَرِحَ الْوَحْشُ وَحَاوَلَ إِنْقِضَاضَ عَلَيْهِ لَوْلَا صَرَخَةُ قَانَدُوسِكِي.. وَفَجَأَهُ نَزْلُ كَاسِرُو كَبِيرِ قِوَامِ وَسَطِ الْمَذْرُجِ وَالْأَصْوَاتِ تَتَعَالَى وَتَصِيحُ بِإِسْتِمْرَارٍ الْمَعْرَكَةَ الْمُنْتَهِيَةَ بِخَطِيئَةِ مَوْتِ قَانَدُوسِكِي. فَوَجَّهَ قَانَدُوسِكِي وَجْهَهُ إِلَى الْجَمَاهِيرِ لِأَعْنَاءِ إِيَاهُمْ تَمَّ قَالِ: الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْحَمَقِيُّ، إِنَّ الْإِنْسَانَ أَبَدًا لَنْ يَعْلَمَ مَا قَدْ يَقَعُ فِيهِ إِنْسَانٌ إِلَّا إِنْ لَمْ يَنْفَسْ شَتَاتِهِ وَمَحْمَصَتِهِ. إِنَّهُ لِيَكَادُ يَجْزَمُ أَنْ مَصِيرَهُ قَدْ إِنْتَفَى فِيهِ الشَّقَاءُ فَلْيَنْعَمِ الْآنَ بِبَهْنِيئَةٍ مِنَ السَّخْرِيَّةِ عَلَى تِلْكَ أَرْوَاحِ الَّتِي تَكَادُ تَفْقَدُ رُوحَهَا.

فَقَالَ كَاسِرُو: مَا هُوَ طَلْبُكَ يَا قَانَدُوسِكِي، أَسْرَعُ فِصْدِيقِي لَآغُورَايِس يَتَدَوَّرُ جُوعًا.

فقال فاندوسكي ساخراً: أراك تصاحب المنتصرين؛ أهذه طبيعة هؤلاء الحمقى المشجعين؟

ابتسم كاسرو قائلاً: إني أصاحب من أجدهم يليقون للمصاحبة، فأكثر ما يرتكبه المرؤ من أخطاء يكون نتيجة لسوء المصاحبة تلك. فهيا قل ماذا تريد؟

رد فاندوسكي وهو يحرك أنظاره يمينا ثم شمالاً،: قل لأحد الحكماء أن برسمي سأنجو من هذه المعركة، فإذا سمح لي برسمه وأعجبتة رسمتي ليعفو عني من هذا إختبار وإن لم يعجبه ليقدمني في العشاء لذاك الوحش البغيض ..

ضحك كاسرو قائلاً: أتظننا نمزح يا عزيزي، ليس لديك أي إختيار، ولكني سأعمل معك هذا المعروف لربما ترده لي في أوقات أخرى... فإنتظر هنا سأعود !

تم إنقشع من أمامه كالصاعقة، وعاد كالرعد يقع على كبد أرض جافة ترقع فيها الجفاف. فقال: لك ذلك، لقد قبل الحكيم كوستلارك قولك فهيا بنا. فرح فاندوسكي قائلاً: من يكون حكيم كوستلارك. فظهرت على وجه كاسرو منحنيات بشعة وعبوس قاتل تم قال: إن سألت تانية فلن تنجو أعدك...

كأنه كان يتوعد بجلد فاندوسكي إن أخفق في إعجاب أحد الحكماء. ولكن فاندوسكي أبدا لم يكن خائفاً، وطبعاً كان عليه ان يخاف، فالمرؤ ليس دائماً ما يحصل ما يأمله ويتمناه. وفجأة وجد فاندوسكي نفسه في إحدى الغرف الفخمة يبدو على صاحبها الثراء العريض، بزين آخر مثير وغريب في الآن ذاته، فقتلع أمامه فوجد رجلا عجوزاً في ثمانينيات يرتدي ملابساً أنيقة مخططة بسوار ذهبي وبدلة كتلك التي يلبسها أشرار في حفلاتهم. قال كاسرو: هذا هو الحكيم، ابدأ الرسم الآن؟

كان فاندوسكي يماطل في إيجاد الخلوة ليفر من هذا الكوكب، ولكنه فشل حتى في التفكير..

فأي أحد مهما كان كيف له أن يفر من كوكب كهذا وإلى أين يصبو !

فقد أتى له حارس آخر ينادونه كيلفن بقماش لرسم وفرشائين
وصباغة.وأجبروه على الرسم،ولكن ما أثار فاندوسكي وضعية العجوز،كأنه
عارضة أزياء مبتدئة فإبتسم لوضعه ،فغضب كاسرو وضرب على كتفه
قائلاً: في المرة القادمة سيكون عنقك من يضرب بدل كتفك ! إحذر لألقابك يا
هذا..

فرسم فاندوسكي العجوز،وبعد أن إنتهى رأى كاسرو رسمه فإندهش من
عظمته وقوة جذبه فقال له : لماذا يبذو الحكيم مشنوقا على الثلثة؟

فقال فاندوسكي : منذ زمن كان رسمي سبب كل البلاوي،والآن قد يصبح
سبب خلاصي ونهايتيإنه الحكيم في المستقبل،سيموت منتحراً،فأمر
الحكيم من كاسرو من إحضار الوحة له وفاندوسكي يرتعد من
الخوف،ويقول : لعلها لم تعجبه ،الويل لرسمي ،لقد أتعبني في حياتي
وسيتعبني بعد وفاتي ...إبتسم العجوز والأمل في وجه فاندوسكي يعود حاملاً
خفيه في يديه.فقال الحكيم: جميل هاته الرسمة ،ولكني لن أموت منتحراً كما
رسمتني بل أنت من سيموت معلقاً من رجليه على الثلثة إلى أن تهد روحك
وتنهارفركع فاندوسكي منتحياً طالباً العفو .وجلس يحكي له عن ما وقع
له في الأرض وما عاناه من وراء تنبؤه بمصير أشياء واشخاص .

فقال الحكيم : حسنا،لنقل أننا صدقناك كيف لك أن تبرهن لنا أنك تتنبأ
بالمستقبل؟

وبفكرة ماکرة قالها فاندوسكي: لقد تنبأت وأنا في أرض بأنني سأدعى لأرض
تانية لا تالث لها.وها قد تحقق حلمي.وقد كان كاسرو يعتبر جندياً صغيراً لم
يرتقي لسلم النبلاء،وعندما شعر بأن فاندوسكي قد أثار إعجاب الحكيم ،توجه
نحو الحكيم يملأ ذهنه بالخبت،فقال له :

لو رآه باقي الحكماء لجعلوك تترك المجلس ،وأنت تعرف أن صاحب الرسمة
المبهرة هو من يجلس على كرسي الحكماء.فأجابه الحكيم : أجل أعلم،خذه
وألقه الى لاغوراييس بالصحة والعافية..

فأخذه كاسرو محاولاً إقناعه أنه نجح في إقناع الحكيم، ومن تما صاراً أصدقاء، وقد دعا ليرى معركة بين مبدع جديد وحش لا غواريس. وبينما فاندوسكي يتلذذ بالنصر وبالراحة إثر علمه أنه أقنع الحكيم برسمه حتى دفعه كاسرو من فوق سياج المدرج حيث يقبع وحش. فقال كاسرو بعدما أوقع فاندوسكي في الفخ : ستكون وجبته الدسمة، وعلمت منذ البداية بذلك، فأمثالك كثر ولست الأخير..

إن إقناعك لشيء ما، وبراعتك في الوجود، داخل بيئة قد أنجبت سوى المحبطين، قد يكون هو الخطيئة ذاتها التي تظنها تميزاً وتعظيماً تجني من وراءه الشكر والتقدير. فلا تغرنك موهبتك !

عندئذ جاءه وحش لا غواريس مسرعاً متوجهاً نحوه بقوة خارقة قد عجز من وراءها فاندوسكي عن التحرك بينما هو ينتصب على أرض يكاد يغمى عليه من شدة الصراخ، فإقتضم الوحش رأس فاندوسكي، فاصلاً إياه عن باقي أعضائه، نائراً أطرافه على أجزاء الحلبة كنفائاتٍ بالية، وباقي الجماهير تستمتع بالعرض ...

" فتفتتكت في نفسك ليست دائماً على صواب، فقد تكون متوجهاً بها نحو هلاكها ظاناً أنها الطريق الصحيحة."

وفجأة نهض فاندوسكي مقطوع أنفاس عائداً من الركام، مصحوباً بفراغ الروح الذي يكاد يصحبه الى الهاوية، فوجد نفسه في حفرة مغطى بالأثرية، وشخص ما يحاول بكل جهد إزالة أثرية عنه، فإرتبك فاندوسكي وقال في نفسه " أين أنا؟ أهذا حلم تانٍ ربما، أرجوك يا نفسي لم أعد قادراً على التكبوس معك، خديني الى الهلاك نون أن أعيش كل هذا..." تم قال: مهلا من هذا الذي ينبس عليّ، لربما أحد أقربائي جاء لينقذني ...

إصنع المعروف لتجده مأوف"، وقد تحمس فاندوسكي لرؤية من يحاول إخراجهم من الحفرة متناسياً أنه قتل كل من يحبه، وحتى أنه إعتبر كل ما جرى له محض كابوس، وهاهو ذا يفرغ من التابوت أثرية، وخرج بعد جهذ من المقاومة، وتفاجأ بالذي كان يحاول إنقاذه.... صارخاً في أجواء". أووووه

إنها مقبرة.... وأنا مذفون الآن... لربما توفيت ولزلت أتحمص في الجحيم.. وفجأة رأى من كان ينبش عنه.

إنه مجموعة من الكلاب الضالة، المتشردة، ذات الملامح الغاضبة والإحباط القوي، لقد ظن قاندوسكي أنه أحد أقرباءه، ولكنه صعق بكونه شلة من الكلاب تحاول إيجاده من تحت أتربة

فلا تتسرع في الظنّ، فأن ترى ما تحب أن تراه ليس هو أن تجد ما هو كائن..

إنهم يحاولون نبش القبور بمخالبهم الحادة، ليؤمنوا أشهراً من الشيع، إنهم في كل يوم يحضرون سراياً ينقبون عن الجثة المهزومة لتكون وجبةً يتذوقون بها طعم الكائن البشري. فصرخ قاندوسكي محاولاً إبعادهم عنه، ولكنهم أصروا على المزحة، بل عندما رأوه ينثر رماده في أرجاء إزداد حبهم في إتهامه حتى وإن كان على قيد الحياة. فأخذ قاندوسكي حجراً من الجوار وصار يرعبهم به، محاولاً إبعادهم، ولفرحته في النجاة أن كل الكلاب ذهبت لقبورٍ آخرٍ مسامحةً إياه، كأنها تخبره بأنها لم تتوفق في العثور على الجثة المناسبة لمائدتها.. ولكن أحد الكلاب السود ظلّ معانداً، لم يرضه التخلي عن هاته الجثة الواقعة أمامه. إنه لمن الرائع حقاً أن نجد أنساناً يصير على بلوغ هدف ينصبه بين أنظاره ذون أن يعود خائباً عن مساره..

ولكن في أخير فرّ قاندوسكي ولحقه الكلب أسود، ومما زاد الطين بلة أنه عندما رأت الكلاب صديقه أسود قد وجد طريقته لم يفارقوه بل عمدوا إلى السير خلفه.. مطاردين قاندوسكي بين القبور وخطواته تكتنس العقل لآلا يجد إحدى أقدامه فوق وجه أحدهم. وهاهو ذا يخنفي بين الشجيرات خارج المقبرة، متحاشياً نظر الكلاب. وأنيابها وما يسيل من لعاب من فمها الكليبي.

وقف قاندوسكي فرحاً وتعباً في نفس الوقت، فقال بسخرية " لقد نجوت من آلاف المصائب، من الموت، والجن وأحلام والكلاب الظالة، فمن أكون... لسْتُ إنساناً عادياً.. وواصل المسير عائداً الى قريته، وفجأة وقعت فكرة على عقله، قائلاً:

وُجِدْتُ في المقبرة ، فلماذا لا أرى من يجاورني في القبر، وهل كنا لنصلح لبعضنا كجيرانٍ وسط الجحيم.. وراح يطأ المقبرة للمرة الثانية ولكنه نسي أي الحفرة التي دفن فيها توأاً.. وفجأة لمح قبران متشابهها الواحد لثولكاين والآخر لخادمه الخائن... فابتسم فاندوسكي قائلاً:

هكذا يكون مصير الخونة... ولكنه لم يعثر على قبر سيرفاي.. فتذكر أنه لم يقم بقتلها..

وقال آنذاك: يا أوغاد، كل القبور غطيتموها بالشواك إلا قبيري، فحتى الخونة كان له شرف الحماية من نبش الكلاب الظالة.

فقرر فاندوسكي العودة الى قصره ، وهاهوذا يبحث في ذاكرته عن شيء يوجهه في الطريق نحوه، فتذكر أنه بجانب حديقة مهجورة، وهو خارج المقبرة شاهد تلك الحديقة ، فقال: أين قصري؟ أسرقه الأموات قبل أحياء! فوجد لافتة على مدخل المقبرة مكتوب عليها " مقبرة البدع" . وهذا إسم هو ماكان فاندوسكي قد أطلقه على قصره.

فقال : ما إن تمّت، وينتهي بك المطاف في حفرة ، لا تُعذُ الى الحياة مهما رغبت في ذلك، فإن فعلت لربما لن تجد أحد أعضائك في مكانها، بل ستجد من باعها بأرخص أثمان..

وتوجه فاندوسكي لمنزل سيرفاي آملاً إيجادها كما تركها، ولكن قد خاب ظنه فقد وجدها تلاعب طفلين صغيرين، فإلتف راجعا الى المقبرة، وفجأة صرخ الصوت:

هل هذا أنت يا فاندوسكي؟..... أجل إنه أنت

إلتف فاندوسكي نحو سيرفاي بيتسم قائلاً: نعم أنا يا سيرفاي... إنه أنا...

فركضت إليه معانقة إياه من شدة الشوق، وإندهش فاندوسكي من فعلها هذا..

فقال له بإنزعاج: هل فعلا قتلت ثولكاين وخادمك أمين؟

إبتسم في سخرية وقال: بلى فعلت،إنهما أسوء ما يترك في كبد الجحيم.
لقد وجدتهما يتأمران عليّ وزجي في السجن،لدى قررت زجهم وسط
القبور.

فقلت سيرفاي: حسنا،لا يهم تعالَ أدخل لتحدثت فقد اشتقت لك!

رد فاندوسكي: أحقاااا.ماتقولين ،إشتقت إليّ،هل حقا أذناي تحسنان
السمع أم انني اتوهم...

إبتسمت سيرفاي وقالت: أجل سمعك لا بأس به.فأنا أحب يا فاندوسكي..

فحزن فاندوسكي قائلا: أوليست هاته لعبة من ألعابك؟أليس عيبا أن
تحبي شخصا مقطوع اليد مثلي؟

فأجابته: لا والله ليست لعبة،اقسم انني أحببتك منذ زمن ولكن زوجي
كان يرغمني على إبعادك وبعد أن إنفصلنا،كنتُ أود أن أعترف لك
بحبي وقد رحُتُ لقصرك فوجدتُ مكانه مقبرة...أما يدكُ فلا يهمني
شيء مادام قلبك في مكانه.

إبتسم فاندوسكي وقال: أحبك انا أيضا يا سيرفاي!

وإنتهت القصة بزواج فاندوسكي الرسام الأعجوبة من سيرفاي،وأنجبو
طفلين وعاشو في سعادة عارمة..ولكن هذه السعادة لم تدوم طويلاً..

فبعد سنتين جاءت التعاسة ملفقة في حجابها الأنيق ،وقد كانت

محملة بالكره من قِبَل أحدهموبعدها بشهر وجدو عائلة

فاندوسكي بأكملها مدفونة في الفناء لخلفي لمنزلهم،بعذما تسربت

رائحة كريهة لأنوف الجيران، فتبين أنها مجزة عائلية راحت كل

العائلة ضحية لها.تاركين له خلاصة حقدهم ورسالة ملونة بدماء عائلة

فاندوسكي تقول :

إن الموت هو النهاية الوحيدة، وهو البداية نفسها.. لنرى الآن هل سينهض كل من فاندوسكي و تلك الخائنة سيرقاي من تحت هذا الركام؟

فمن وجد هاته الجثة قبلي، فيحرقها، فحتى الدخان المتصاعد منها قد يكسب الجو دغراً ونوبةً من إختناقٍ...." لا تصدق أحداً يا من سيحاول حلّ شيفرتي.. لأن الثقة بالناس كرمي نفسك في البحر تنتظر من جسدك المجمد أن بيرع في الطوفان.. لقد كان مصير هاته العائلة اللعينة مرسوماً قبل أن ألقى اليهم نفسي... فحذاري أن تتزوج بإحدى الطائشات لكي لا يعود حبيبها لينقب عن نفسه بين ضلوعها، لتختصر على نفسك كل تلك الخيائات التي قد تتعرض لها.... فيعود كما عدتُ أنا..."

×

×

النهاية

